

تقديم لك
كتاب الكمال الصوفي

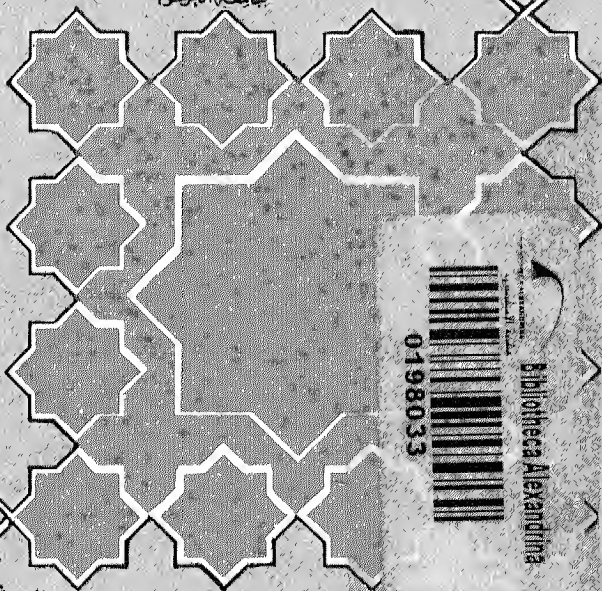
الطهور الملهج على قلوب الأبرار

للإمام المجدد

السيد محمد باقر الخوانساري

أستاذ الشريعة الإسلامية

بجامعة النجف



0198033

Bibliotheca Alexandrina

طبع بدار من
شيوخ الطريقة العرفية

السيد الدين قاضي أبو العزائم
المقام بالنعش

دار الكتب العلمية
تقدم لك



Center for the Study of Islamic Manuscripts (GOAL)

الطهور الملبس على قلوب الأبرار

للإمام المجدد

السيد محمد باقر الخوئي

أستاذ الشريعة الإسلامية

بجامعة الخرج

طبع بدارت من
شيوخ الطريقة العزمية
السيد الدين علي بن أبي الغزائم
الحاس بالسنن



جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس
والتصوير محفوظة لدار الكتاب الوقف

طباعات الكتاب

الطبعة الأولى ١٣٤٠ هـ - ١٩٣٠ م

الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ

الحمد لله الذى خلق أولياءه ، وكشف لهم حياض جماله ، وفتح عليهم باب ذكره . والصلاة والسلام على أكمل موجوداته ، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المهادين المهديين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا الإمام المحدث السيد محمد ماضى أبى العزائم الذى ورثنا تراث علومه وأفاض علينا من هاطل فيضه . ونضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم موضع الفضل والكمال والاستقامة والاعتدال .

وبعد : فتقدم دار الكتاب الصوفى وهى إحدى أوجه نشاط الطريقة العزمية الطبعة الثالثة من كتاب (الطهور المدار على قلوب الأبرار) الذى صدرت طبعته الأولى فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٠ هـ وطبعته الثانية ١٣٩٧ هـ -

١٩٧٧ م وهو مجموعة من الحكم العالية والدرر الغالية .
 أفيضت على قلب الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى
 العزائم فنطق بها لسانه فجاءت ذكرى لمن كان له قلب أو
 ألقى السمع وهو شهيد والكتاب يتضمن الباب الأول
 منه على سر إظهار الله للمجددين لدينه فى كل زمان ،
 وأساس الطريق عامة ، طريق آل العزائم خاصة ،
 والمجاهدات وما يناله السالك بانتسابه للطريق . والباب
 الثانى يحتوى على المكنون المضمون فى الذات الإلهية ،
 ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وآدم والقرآن
 ورجاله ، والعلم وأحواله ومنازله .

ولقد تلقى هذه الدرر المنشورة التى يحتوىها هذا
 الكتاب مولانا السيد أحمد ماضى أبى العزائم رضى الله
 عنه وأرضاه ، على شكل أسئلة فأجاب عليها الإمام
 رضوان الله عليه سؤالا سؤالا . وأنه ليس لى من فضل
 فى إصدار الطبعة الثالثة من هذا الكتاب حتى أفخر به
 ولا جهد أنتظر الأجر عليه إنما هى عناية من الله
 سبقت ، وهدايته رفقت ، فشكراً لله على ما وفق
 وأعان .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

دار الكتاب الصوفى شيخ الطريقة العزمية
فى يوم الاثنين السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
غرة رجب ١٤١٢ هـ المحامى بالنقض
٦ يناير ١٩٩٢ م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ،
 نزل الذكر وهو له حافظ ، ولقن حبيبه تبيانہ وقال
 سبحانه : (ثم إن علينا بيانه)^(١) والصلاة والسلام على
 حبيبه ومصطفاه مصدر حكمه الظاهر ونور هداه ،
 وعلى آله وصحبه . أما بعد فإن أول حكمة اقتبسناها ،
 وأحلى قطرة فضل شربناها ، وأنفس عظة وعيناها ،
 وأحسن أدب تهذبنا به ، وقول في الدين أصغينا إليه ،
 هو ما سمعناه من الإمام المجدد السيد محمد أبي العزائم وما
 قرأناه من حكمه البالغة ، ودرره التي تأخذ بالقلوب
 فتجذبها إلى القرب من علام الغيوب . فإن العبد الكامل
 العارف بالله يسبق نوره قوله فيضيء القلب المخلص
 فيحدث فيه الأثر المحمود ، ويقبل به على الحق المعبود ،
 سنة الله فيمن اختارهم لحضرته واکرمهم بعنايته ونسبهم
 لذاته . (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم

(١) سورة القيامة : ١٩ .

تخزنون) (٢) وآتاهم حكمته وأكمل عليهم نعمته .
 (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (٣) . وتلك
 حال والدى الإمام المجدد رضى الله عنه وأرضاه ، تمسك
 بالدين وتفان فى نشر محبة جميع الناس لسيد الرسل
 أجمعين ، وميل للحق وعلاه ، وبذل فى إحياء القرآن
 وسنة رسول الله . نور ظاهر ، وقلب مع الله حاضر ،
 ونطق بالحكم العلية ، وإقبال على الله بالكلية ، مما لو
 أراد النقلة الرواة والرجال الثقة أن يحصوه ما قدروا على
 أن يبلغوه . وكيف .. وهو يقتبس من الشمس المشرقة
 رسول الله المستمد من الله ، ومحال أن تنفذ كلمات
 الله . (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده
 من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (٤) .
 وما ستطلع عليه أيها القارئ فى هذا المسطور قل من

(٢) سورة الزخرف آية : ٦٨ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٤) سورة لقمان آية : ٢٧ .

كثر ، وقطرة من بحر ، ووميض من نور ، وفلاذ من
در منشور ، تلقيته قاصدا بنشره الاعتراف بفضل الإمام
المجدد رضى الله عنه وأرضاه ، والحث على النفع العام ،
وأن يكون لى أثر أنال به ذكرنا يبقى على الدوام .

ولما عزمت على إظهار هذا المؤلف إلتمست الأذن
بالطبع من الإمام المجدد فاذن رضى الله عنه ، وجعلت
الباب الأول منه كأسئلة فأملئ على رضى الله عنه الجواب
على كل أسئلته .

أما الباب الثانى فهو حل للرموز ، وكشف عن
كنوز ، يحتاج لنفس زكية وروح عليه ، وعقل عقل عن
الله .

ولك أنصح أيها المطلع على هذا الكتاب ، أن تقرأه
وقت فراغ قلبك من هموم عملك ، وأنس نفسك
بمواجهة ربك فما وعاه قلبك من دقائقه ، وتلذذت به
من حقائقه فاحمد الله عليه . وما صعب عليك فهمه وعز
على عقلك الوصول إليه فانسب سببه لنفسك ، وقل رضى
زدنى علما .

والله اسأل أن يبلغني وإخواني المؤمنين المقصود ،
ويدلني وإياهم على الصراط المحمود (صراط الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا) .

أحمد ماضي أبو العزائم

الباب الأول

المجددون والطريق إلى الله

الفصل الأول

المجددون وما أخذهم

ما سر إظهار المجددين في كل زمان ؟:

معلوم أن أول الإرادة آخر العمل ، وأول مراد الله تعالى هو حبيبه ومصطفاه ﷺ ، وسبق في عمله أنه حبيبه ومصطفاه وأنه الإنسان الكلى الممد لجميع العوالم ، وخلق جميع الخلائق له ﷺ كما ورد في الحديث بسند الإمام محمد بن سهل رضى الله عنه في تفسيره للقرآن ، يقول الله تعالى : « إني خلقت محمدا لذاتي وخلقته آدم لمحمد ، وخلقته كل شيء لبني آدم .. » إلى آخر الحديث .

أبرز الله الكون متطورا أطواراً ليعده لإشراق شمس حبيبه ومصطفاه ، فكان ﷺ فاتحاً خاتماً كما قال على عليه السلام :

« اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق وآله » .

أشرقت شمسهُ ﷺ بالنور العام الدائم الذى لا يغيب ؛ لأن شمسهُ ﷺ لا تأفل كما قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله :
أفلت شمس الأولين وشمسنا
أبدا على فلك العلا لا تغرب

فجعله الله تعالى فاتحة الإيجاد ، وخاتمة للرسل فلا نبى بعده ، فاقتضت حكمته ورحمته وإحسانه ، أن يحفظه لأمته فى أمتة ، فلا يزأل ﷺ فى أمتة بدليل قوله تعالى : « واعلموا أن فيكم رسول الله » (١) . وبدليل قوله تعالى : « ولور رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (٢) . وقال على بن أبى طالب عليه السلام : (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهرا مشهورا وإما باطنا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبياناته » .

(١) سورة الحجرات آية ٧ .

(٢) سورة النساء آية ٨٣ .

فلا يخلو زمان من الأزمنة ، بل ولا يمضى قرن ويتجدد آخر ، إلا ويجدد الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ، وهم ورثة رسول الله ﷺ ، ولولا ذلك لخفيت معالم دين الله ، واندثرت آثار أئمة الهدى . وإنما الورثة أشبه بالمرأى ، فإن المرأة الأولى التى واجهت الحقيقة المحمدية ، ورسمت فيها صورته ﷺ ، لافرق بينها وبين آخر مرآة رسمت فيها تلك الصورة ، ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف ، وبين الإناء والإناء ، لا ما فيهما . والصورة لم تتغير فهى هى ، وتكون المرأة بحسب زمانها ، فخير مرآة تكون فى خير زمان وكلها خير ، ومن أنكر هذا فقد أنكر قوله : « وخاتم النبیین » (١) .

وقد حصل لأصحاب رسول الله ﷺ يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى دهشة حيرت العقول ، لاعتقادهم أن خاتم الرسل لا يموت ، حتى من الله على الأمة بنور العلم اليقين من الصديق رضى الله عنه فتلا آية : « ما كان محمدٌ أباً أحيد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین وكان الله بكل شئ عليماً » (٢) .

(١) ، (٢) سورة الأحزاب آيه ٤٠ .

هذا هو سر تجدد الورثة في كل قرن أو قرون ؛ وما ورد من الآيات والأحاديث في هذا الشأن فمعلوم ، وما يعترى بعض المنكرين لهذا السر ، فهو من طريق قوله تعالى : « ... بل هم في لبس من خلق جديد »^(١) والمجدد المرأة لا النور والإناء لا ما فيه ، فإن الإنسان - من حيث هو إنسان - مؤهل أن ينال من الله الخير والفضل العظيم الذي ناله الأطهار من أوليائه ، والأخيار من الصديقين . وما من زمان إلا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف ، وتظهر فيه شؤون تقتضيها سعة العمران .

ولما كانت تلك الأحداث والشؤون لا بد وأن ينظر إليها بعين الشريعة ليثبت حكمها من حيث الحل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع ، كان لا بد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله لنفسه فيفقههم في دينه ، ويلهمهم الصواب في القول والعمل ، ويقىمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم فتنطوى النبوة في صدورهم ، إلا أنه لا يوحى إليهم . ولذلك نظائر في الأمور المحسوسة : فإننا لو عرضنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار

(١) سورة ق آية ١٥ .

الأطباء لجهل هذا المرض ولما علم له دواء ، فكما أن الله سبحانه يحدث في كل زمان أطباء للأشباح لطفًا بالخلق ، ورحمة بهم ، فهو سبحانه أرحم الرحمين بعباده فيجرد لهم رجالا يستنبطون الحكم على كل حديث حدث ، أو شأن تجدد ، وهم ورثة رسول الله ﷺ سر قوله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »^(١) ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وإنما ورثوا نورا وهدى ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ماهى مآخذ المجددين للسنّة :

عقيدة كل مسلم أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ، وهذا الأصل يقتضى أن يكون كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ جامعين لبيان الأحكام المتعلقة بالشؤون التى تحدث في كل زمان ومكان ، بحسب ما يعترى المجتمع الإسلامى من الأحوال التى تحدث ، من غير أن يسبق لها نظير .

ومعلوم أن تلك الحوادث - بحسب أهميتها - تشغل قلوب المجتمع ، فقد تقوى تأثيراتها حتى يألفها المجتمع ويتلقاها الأبناء

(١) رواه ابن النجار عن أس ، ص ٧ إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد .

عن الآباء معتقديها ديناً ، ومثال ذلك ما حدث في الدولة العباسية من البدع كالقول بخلق القرآن ، وتغيير المنهج الذى كان عليه من قبلهم فى تلقى عقائد التوحيد ، حتى حصروها فى مواضع ، وجعلوا طريق تحصيلها العقل ، وجعلوا لذلك أسساً حكموا أن من لم يحصلها غير مؤمن ، وهى من شر البدع . وما حصل بعد ذلك من البدع المضلة من تفرقة المجتمع وتعدد الخليفة ، ثم عظم الأمر ، حتى صار الحكم بالهوى وهجر القرآن والسنة ، وتساهل المسلمون حتى غيروا أحكام الشريعة الغراء بقوانين ونظمات ، فأصبحت السنة بدعة منكورة ، والبدع المضلة سنناً مقبولة ، فأنحلت عُقدة التعصب للدين ، وتمزقت دعائمه ، وأصبح المسلمون كما يعلم من شهد الماضى والحاضر ، شهد الماضى بدراسة أخباره ، وشهد الحاضر بالمعاينة . كل تلك الحوادث والشؤون ، لا يخلو منها مجتمع فى كل زمان .

ومقتضى أن رسول الله خاتم الرسل يثبت أنه ﷺ لم يميت بصفته رسول الله ، بل ينبغى أن يعتقد حق الاعتقاد أن النبوة والرسالة باقيتان مابقى الحدثان^(١) ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « إِنَّآ

(١) الحدثان : الليل والنهار

نَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (١) .

كذلك تفضل الله تعالى على عباده الذين بشرنا بأنهم خير أمة أخرجت للناس أن يجدد لهم أمر دينهم كلما خفيت محاجه أو سترت حججه ، ولا يكون ذلك إلا بواحد من المسلمين يتفضل الله عليه بفقهِ دينه وعلم الحكمة في أحكامه ، وسر أحكامه ، ويمنحه لسان البيان ، ويلقى عليه محبة منه سبحانه . وفضل الله تعالى لا يخفى على ذى بصيرة ، وإن كانت شمس رسول الله ﷺ خفيت على الخفافيش من الناس ، فالقائم هذا لا يضره إنكار أهل الجاهالة عليه ، ولا يضره منهم عدم الإقبال ، فإن أعداء الحق في كل زمان ومكان أكثر من أحبابه .

وما أخذ المجددين للسنة في كل زمان من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وهدى أئمة الهدى من السلف الصالح ، وإنما اللبس حصل لأهل الجاهالة لأن أحكام الزمان الذى هم فيه مغايرة لأحكام ما قبله ، والأئمة المجددون ليس لهم رأى ولا هوى ولا حظ إلا فيما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله ﷺ بقدر النور الموهوب لهم من الله تعالى .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

وهنا أنبهك أيها الأخ الراغب في نيل الحسنيين ، أن تكون محافظا على الموازين فيما سبق الحكم فيه مما هو في الكتاب والسنة ، فإذا تكلم المجددون فيما حدث بعد ذلك مما لم يسبق له نظير من الحوادث فعليك أن تقبل ، معتقدا أن عبارة المجددين فوق شهودك ، لأنهم يقتبسون من مشكاة رسول الله ﷺ أو مما وقر في قلوبهم من نور الإلهام ، أو من الأخذ بالعزائم بعد طمأنينة القلب ، وصفاء جوهر النفس ، وكمال الإخلاص لله ، وليس بإمام من خالف صريح الكتاب والسنة ، أو خالف عمل أهل الإجماع من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما ما يتعلق بالعقيدة والإخلاص فلكل مؤمن قسط من هذا النور بقدر عناية الله تعالى به ، والله أسأل أن يجدد بنا السنة ، ويعلى بنا الكلمة ، ويجعلنا أئمة للمتقين إنه مجيب الدعاء .

الفصل الثاني

أساس طريق آل العزائم ومجاهداتهم

ما هو أساس طريق آل العزائم؟:

أساسهم الأول : المحبة ولا ينال الإنسان المحبة إلا بعد العلم بثلاثة أصول :

- ١ - العلم بصفات المحبوب .
- ٢ - العلم بأخلاقه .
- ٣ - العلم بما يحبه .

فأما العلم بصفات المحبوب فلا بد أن ينال من عارف رباني ، أمين على سر الربوبية ، عالم بجواهر النفوس وأمراضها وقواها القابلة .

وأما العلم بأخلاق المحبوب ، فينال بتحصيل سير الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم ، ومعرفة حكمة إيجاد العالم علوا وسفلا ، وجعله إمدادا للإنسان بعد إيجاده ، وسر صوغ الإنسان بيديه ، وجعل نشأته الأولى من طين ، وحكمة نفخ الروح فيه ، ومعنى سجود الملائكة له ، وإبلاء إبليس ورجوعه إلى الجنة ومعصيته فيها ، ورده منها . حتى إذا تحقق من كل

تلك المعاني أمكنه أن يصير مع الله تعالى بالحبّة ، فإن من جهل أخلاق محبوبه انقلبت المحبة بالبغضاء . وهذا العلم لا يحصل عليه المسلم إلا بصحبة الربانيين أهل الخشية من الله تعالى والأدب معه ، قال صلى الله عليه وسلم : « العلم بالتعلم » .

وأما العلم بما يحب المحبوب فتحصيله يكون بتلقى معرفة النفس ، وبمعرفة ما يعرف المسلم ربه ، ويعرف مراده جل جلاله في إيجاد الإنسان ، وهو أن يكون عبداً لمولاه سبحانه ، متجملاً له سبحانه بالجمال الذي يحبه هو من عبده ، ولديها يكون ابن وقته ، فإذا اقتضى الوقت محبوباً له ومحبوباً لله ، قهر نفسه على أن تفعل ما يحبه الله مهما ناله من الضرر والبلاء في سبيل ذلك . وليس من تقرب إلى الله بأكمل القربات بمحب لله ، فإن الطاعة يعملها البار والعاصي ، وإنما دليل محبة الله البعد عما نهى الله عنه ، وهذا أمرٌ دقيق جداً ، فكم من عابد يوالى عدو الله تعالى أو يفعل ما يكرهه الله مما نهاه الله عنه ويحتقر هذا العمل .

هذا الأساس - المحبة - هو الأصل الذي أُسس عليه الدين ، ولولاه ما صبر رسول في الدعوة إلى الله ، ولا بذل الأنصار والمجاهدون نفوسهم وأموالهم وأوطانهم في سبيل محبة ،

ولا صبر عبد على صلاة ولا صيام ولا حج ، ولا بر ولا صدقة ولا جهاد ، ومن لم يذق صافي شراب المحبة وملأ بطاح الأرض وصفاح السماء بالعبادة فإنما هو أجير سوء ، وما أثنى الله سبحانه في كتابه على أصحاب رسول الله ﷺ إلا بالأعمال التي أنتجتها المحبة ، فلم يقل : يصلون ولا يصومون ولا يحجون في مقام الثناء ، ولكنه قال : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »^(١) وقال : « يحبون من هاجر إليهم »^(٢) وقال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً »^(٣) . وقد وردت أحاديث كثيرة في الثناء على رجال من الصحابة بما قاموا به من الأحوال الدالة على كمال المحبة قال ﷺ : « أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر » وقال للأنصار ﷺ : « إنكم لتكثرُونَ عند الفزع » والآيات القرآنية والأحاديث الواردة في الثناء والشكر من الله تعالى لا تحصى .

فكل رجل من رجال آل العزائم ينبغي أولاً أن يحصل المحبة ، ومتى عقد القلب على قدر حبة من المحبة جذبته العناية

(١) ، (٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

إلى الله تعالى فأحبه سبحانه ، والمحـب كيف يخالف محبـوه ١١٩
فمن فعل مكروها أو ترك مندوبا من أحكام الشريعة ، وادعى
أنه سالك في طريق آل العزائم ، فدعواه تحتاج إلى حجة ،
وكثير من الإخوان يدعون المحبة وتلوح عليهم أشرف علاماتها
حتى يكونوا كالرّاج والريّحان لغيرهم ، ثم تعترهم فترة ، فلا
يزورون المرشد ، ويزيدون على ذلك الاعتذار ، والعاشق لا
يعتذر .

ماهى مجاهدات آل العزائم (٣) :

الجهاد بذل ما فى الوسع لدفع العدو ، أو قهره حتى
يخضع ، وهو الأساس الذى تقوم به الحجة على قوة الإيمان ،
والركن الذى تتضح به المحجة للسير إلى الفوز بالرضوان ،
وبدونه كل أعمال المؤمن دعوى تحتاج إلى دليل .

والمجاهد إما أن يجاهد المملكة الفردية وهى مجاهدة السالك
نفسه فى ذات الله تعالى ، وهذا هو الجهاد الأكبر الذى لا يصبر
عليه إلا آل العزائم من كمل الصديقين .

(٣) راجع كتاب : (الجهاد) للإمام المجدد أنى العزائم .

مجاهدة النفس (١)

تعلم - أيدنى الله وإياك بروح منه - أن السالك بين جيشين عظيمين : جيش الحق ، وجيش الباطل ، والجيشان فى ميدان المنافسة للظفر بالملك ، وجيش الباطل فى الإنسان أقوى وأكثر من جيش الحق ، فإن ما يجاهد عليه جيش الباطل ليناله محسوس ملائم للنفس ، وما يجاهد عليه جيش الحق غيب ينال غدا . وما كان محسوسا كان أقوى فى الإغراء والرغبة فيه .

لذلك يجب على السالك فى طريق آل العزائم ألا يتهاون فى أمر جهاد هذا العدو صابرا مصابرا مرابطا ، وأن تكون يقظته أتم عند قهر هذا العدو (أو عند الهدنة) ، فإن للشيطان والحظ والهوى دسائس خفية قد تظهر فى فضائل ومحاسن ، فقد تلبس عليه - بحسب دسائس العدو - العادة بالعبادة ، والطمع بالحبة ، والرياسة بظن تجديد السنة ، فيكون هاويا فى مهاوى الضلال ، معتقدا أنه من عمال الله .

لذلك لزم أن يهتم فى حال المجاهدة بتخليص النوايا

(١) راجع كتاب : (معارج المقربين) ص ١١٥ وكتاب : (النور المبين) باب الجهاد ص ٤١١ للإمام انخدود أنى العزائم رضى الله عنه

والقصود ، فقد تكون المجاهدة بابا من أبواب الشيطان لجهل السالك بدسائس النفوس ، كما يحصل لمن يجب الخلوة من الغرور ، ووسوسة العدو ، وما يتولد في قلبه من حب الشهرة والسؤدد بذلك ، أو نيل الكشف والمشاهدة وعلم الضمائر ، واستخدام الأرواح لجلب الخير ودفع الضرر ، أو الزهو بالنفس وكرامتها ، من التدنس بالاجتماع على العامة ، وتلك أمراض خفية .

أما العلل الباعثة التي يقصدها أهل الغرور ؛ فصاحبها ليس بسالك في طريقنا هذا .

أنواع المجاهدة : أنواع المجاهدة ثلاثة :

١ - مجاهدة الحس والنفس والعقل والجسم في التسليم لرسول الله ﷺ تسليما يكون السالك به أشبه الناس برسول الله ﷺ في جميع شؤونه .

٢ - مجاهدة السالك نفسه على نيل الكمالات التي لا تلائمها من مراقبة الله في كل أحوالها ، حتى يستحى أن يعصى الله في خلوة ، ومن الرضا عن الله بالقليل من الضروريات . وهذا النوع يجب أن يكون المحاهد فيه محافظا على أدب الأئمة

الهادين المرشدين ، فلا يستظهر عليهم حفظاً للوسط . وكفى المجاهد شرفاً أن يكون منهم ، أو معهم ، لأن هذا النوع مزالق أقدام السالكين ، فقد يتجاوز آدابهم فلا يستطيع ، فينقلب والعياذ بالله ، يقول الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً »^(١) . وهذان النوعان هما الجهاد في الله تعالى .

٣ - النوع الثالث : وهو الجهاد في الله حق الجهاد ، لا يصح حال أهله إلا بكمال مشاهد التوحيد ، حتى تخلص النوايا توحيداً ومعاملة . والواجب على المجاهد في هذا المقام - إذا كان في حضانة المرشد - ألا يتجاوز مقدار الشريعة إلا بإذن صريح من المرشد ، خشية من أن تلوح لامعة من بوارق قدس الجبروت على قواه الروحانية فتتمحى معالم رسمه ، وتنهار دعائم سوره فيقع في التيه ، أو في غياهب التشبيه ، لأن هذا الجهاد نهاية طريق آل العزائم في حصون أهل الملامة ، ومعلوم أن أهل الملامة شيخهم الحقيقي رسول الله ﷺ ، لأنه أول من تحمل آلام الملامة الفادحة بالرضا عن الله تعالى ، والصبر على نجاة الناس من الشرك .

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

ولآل العزائم في هذا المقام أحوال عليّة ، لا تخرجهم عن
الآداب الشرعيّة ، ولكنها تدل على كمال اليقين ، فقد يفارقون
ما لا يد لهم منه من الطعام أو الشراب والحظوظ والشهوات
والمساكن والنساء والأولاد والأموال محتقرين كل ذلك في
جانب أنسهم بالله تعالى ، ومن أعطى الكل أخذ الكل ، قال
تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » (١) باعوا والله
النفوسَ والنفائسَ بعزيمة صادقة وقبول ، فأعطاهم الله الكل ،
وهذا غذاء الأرواح لا يطيب للأشباح ولا للعقول ، فقد
تنكره أكمل العقول ، ومن قرأ تراجم من عذبوا في الله من
الصحابة يعلم مقدار أنسهم بالآلام ، وفرحهم بفادح
المجاهدات .

وهذا المجاهد هو الذي أعانه الله على القيام بما أمره به في
قوله : « وجاهدوا في الله حقّ جهادِهِ » (٢) بدليل قوله
سبحانه : « هو اجتباكم » (٣) وبإقامته مقام رسله نص قوله :

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢) ، (٣) سورة الحج آية ٧٨ .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج »^(١) فهو يجاهد في وجوده ونسبته إليه فيما أمده الله تعالى به ورتبته منه ، فارا من عوالم ملكه وملكوته ، ومن أنسه بالمشاهد الروحانية ، ومن علمه ومعلومه ، ومن عرفانه ومعروفه كما قال تعالى : « ففروا إلى الله إني لكم نذير مبين »^(٢) وتفصيل أحوال هؤلاء لا تفي به العبارة ، ولا تبينه الإشارة ، قال ﷺ : « إن الله يكره لكم أن تبينوا كل البيان » وما فوق ذلك من البيان يكون من الفم للأذن للقلب ، وقد يكون بالإلهام من الله تعالى .

(١) سورة الحج آية ٧٨

(٢) سورة الذاريات آية ٥٠ .

الفصل الثالث

الطريق والحاجة إليه

ما احتياج المسلم إلى الطريق^(١)؟:

كل مسلم على يقين أنه مسافر إلى الدار الآخرة ، وأهل الإيمان منهم مسافرون إلى مقر رحمة الله ودار النعيم الأبدى ، وأهل الإحسان مسافرون إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأهل الإيقان مسافرون فرارا من الكونين إلى المكون جلّ جلاله . ولما كان المسافر إلى مكان ناء لا يخلو حاله : إما أن يكون عالما بالطريق متمرنا عليه أو لا ، فإن كان عالما به احتاج إلى رفيق يعينه على مهام شؤونه ، حتى يكون على يقين من أنه إذا نسى ذكره وإذا ذكر أعانه ، وفي الحكمة : « الرفيق قبل الطريق » وإن كان جاهلا بالطريق احتاج إلى دليل موثوق به مشهور بين الناس بتوصيل المسافرين .

(١) انظر (مذكرة المرشدين والمستترشدین) ص ٥٦ وغيرها ، (معارج المقربين) ص ٥٩ وما بعدها (ودستور السالكين) ص ٢٧ وما بعدها للإمام المحدد أبي العرايم .

هذا ولما كان المسافر لابد أن يترك وراءه كل الآثار والمعالم التي تحول بينه وبين نيل المقصد من وطنه ، وأهله ، وأولاده ، وأقاربه ، حتى يتسنى له نيل هذا المقصد العظيم ، فكذاك المسافر إلى مقصد من المقاصد المتقدمة لابد أن يفارق معالم وأثارا كثيرة تحجبه وتبعده عن مقصده ، والحجب في السفر المعنوي أكثر وأشد من الحجب في السفر الحسي ، فقد وصل العقل إلى مقدمات أنتجت له التكلم مع المحبوب النائي عنه بواسطة الموصل السلوكي (المسرة) ، وأمكن العقل أن يضبط صدى صوت حبيبه محفوظا لديه ، يسمعه متى شاء بآلة تعقيب الصدى الحاكي « الفنغراف » ولكن هذا المقصد ليس للعقل اقتدار أن يقربه بآلة أو بأداة ، بل لابد من فادح المجاهدات ، وعظيم المكافحات ، حتى يفارق كل تلك القواطع والحجب مرة واحدة ، وبدون مفارقتها لا يصل كما وصل الحس بمجهودات العقل ، فسمع صوت حبيبه محفوظاً أو ملفوظاً ، وقد يرى حبيبه بالتصوير وهو متكئ على فراشه ينظر إليه في الصورة ويسمع صوته في الآلة ، وذلك لأن الذي يفارقه المسافر إلى الحق حقائق في ذات الشخص لا تفارقه إلا بفادح المجهود ، وما دامت تغشى جوهر النفس ، فالنفس في اللبس .

ولو حصل المسلم علوم الأولين والآخرين ولم يظفر بدليل - في مقام جهالته بالطريق - أو برفيق - في مقام علمه به - لا يصل إلى قصده ، ولو أن الله جل جلاله قدر ذلك في أزاله لأظهره في ملائكته المجردين عن المادة ولوازمها ، أو منح ذلك رسله الكرام ، فإن الله تعالى ألزم الملائكة أن يتلقوا من آدم ، وأمر الرسل أن يتلقوا من جبريل ، وقد صحب جبريل رسول الله ﷺ في إسرائه وفي سيره - وهو من تعلم جلاله وقدره - حفظا للناموس الإلهي ، حتى ينفرد جل جلاله بالعلم بذاته لذاته .

هذا من حيث مايتعلق بهذا الموضوع عقلا ، أما من حيث الذوق فيه ، فإن العلم كالمال والعافية والجاه يكسب النفس غرورا وعلوا ، وهما العقبتان القاطعتان عن الله تعالى ، ولو أن العلم ينفع في السير إلى الله تعالى لكان أول منتفع به إبليس ، وهو من تعلم علما ومعرفة بقدر نفسه وعلمه ، ولما لم يكن له مرشد يرشده ضل وهوى .

إن الله أرسل الرسل - وهو الحكيم العليم - لأنه خلق الخلق خطائين بأنفسهم ، جهلاء بحسب حقائقهم ، وجعل المرشد للسالك بمنزلة القوت للروح والعقل علما ، والغذاء للجسم

عملا ، ومنزل للواصل منزلة الشمس الميمنة للحقائق ، ومنزل لأهل التمكين بمنزلة الاتحاد ، حتى يكون المتمكن مع المرشد هو هو ، حالا وعقيدة وعملا وشهودا . وأنت تعلم يا ولدي أن الجسم الحى يفقد حياته بفقد الغذاء ، وأن العين المبصرة تخفى عليها الحقائق باحتجاب الشمس ، وأن المتمكن قربا من الله تعالى يفقد كرامة الله له بفقد ما به وصل إلى الله تعالى .

وإنما سميت مجاهدة النفس وتهذيبها ، وتجميلها بمحباب الله ومراضيه طريقا ؛ لأن الإنسان فى هذا المقام يفارق عوائده المهلكة ، وأخلاقه الوحشية ، وهمته الإبلية ، وصفاته البهيمية الشهوانية ، حتى يكون أشبه برسول الله ﷺ ، وما أعظم هذا الذى يفارقه ، وما أشد احتياجه إلى معين قوى مؤثر معتقد فيه .

وهناك فوق الذوق إشارة فسلم : إن الله تعالى ظهر لملائكته فى مظهره ، وظهر جل جلاله للسلالك المخلص آمرا ناهيا مبينا فى مظهره الأكمل خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله ، وظهر ﷺ فى المرشد فيفصل لصاحبه حتى تبلغ العقيدة به مبلغ أنه يرى مخالفته مخالفة لرسول الله ﷺ .

لذلك كان لابد من الرفيق قبل الطريق . يقول ﷺ :

« اللهم ارحم خلفائى » وخلفاؤه عليهم السلام هم العلماء الربانيون الذين يحيون سنته بعد مواتها . ويقول الله تعالى : « ولو ردهه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »^(١) وأولو الأمر منهم هم الذين منحهم الله الفقه فى دينه لأنهم أهل أمر الله تعالى ، ومن لم يعتقد أن له مرشدا يصحح عليه حاله فهو مغرور بعيد عن الحق .

وهنا أنبه السالك أن يحفظ الموازين مع أكمل المرشدين ، وألا يقبل من المرشد - فى كل مرتبة من مراتب السلوك - إلا ما يعلمه من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام صريحا أو تأويلا ، حتى يبلغ مقام الإلهام ، ولديها يجب أن يؤول للمرشد ، فإن لم يبلغ بتأويله فهم الحكم سلم له ، ووقف عن العمل ، حتى يمنحه الله نورا تستبين له به الحقيقة ، فإن المرشد إنما يزكى نفوس المريدين ، فهو طبيب روحانى يجب على السالك أن يتعاطى عقاقيره التى لا تخرجه عن آداب الشريعة ، مهما كانت ؛ كما إذا أمره بالأسباب وهو فى التجريد ، أو بالتجريد وهو فى الأسباب ، وأمثال ذلك .

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

ما يناله السالك بانتسابه للطريق^(١) :

الطريق والصراط والمنهج ألفاظ مترادفة يراد بها ما يسهل به الوصول إلى المقصد ، آمنا سالكه على نفسه وماله من وثناء السفر ، أو سوء المنقلب . وقد قررنا فيما سبق أن السالك إلى الله تعالى يفارق حقائق كثيرة ، لا يتسنى له الوصول ما دام واقفا عندها ، وكل حقيقة من تلك الحقائق كجبل سد مسلك المسافر إلى الله تعالى .

ولما كانت أسس الدين أربعة : العقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والأخلاق . وكانت النجاة متوقفة على الأساس الأول الذى هو العقيدة ، وعلى قدر قوتها يكون الوصول ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ سبقونا بقوة الإيمان وسبقنا التابعون بوسعة العلم ونحن جئنا بكثرة العمل . ولا يساوى بقوة الإيمان شيئا ، فنحن فى حاجة إلى قوة الإيمان ولوجهلنا كل شيء إلا ما لا بد منه لنا ، وتركنا كل عمل إلا ما فرضه الله علينا ، إذ وسعة العلم وكثرة العمل مع ضعف الإيمان لا تجدى شيئا ، ولكن العقيدة الحققة تنتج العبادة الحققة والأخلاق الجميلة

(١) راجع (دستور السالكين) ص ٢٨ .

« إنما يخشى الله - من عباده العلماء » (٣) - بنصب اسم

والمعاملة الحسنة ، والرعاية التي تجعل المسلم حاضرا مع الله ،
أو موقنا بحضور الله معه ، يقول ﷺ : « فإن لم تكن
تراه فإنه يراك » (١) .

هذا والقائمون بالدعوة (٢) إلى الله أنواع ، فخيرهم وانفعهم
من جملة الله تعالى بقوة الإيمان ، وبمعرفة سببانه ، ويعلم
حكيمته وأيامه وأحكامه ، وهذا هو وارث رسول الله ﷺ ،
وهو السعادة العظمى لمن سلم له ، وحصن الأمن لمن اقتدى
به ، وهو المعنى بقوله ﷺ في الحديث القدسي عن الله : (من
آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ، لأنه الصورة الكاملة
لرسول الله ﷺ ، وال خليفة القائم لله بالله ، مجدد المنهاج ،
ومقيم الحجة ، ومبين المحجة ، وهو المراد بقول الله تعالى :
« إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) - بنصب اسم
الجلالة - . ثم يلي هذا الفرد رجل منحه الله الورع في دينه
والخشوع في عبادته ، وهو الزاهد العابد .

(١) صحيح مسلم ص ١٦٥ عن أبي هريرة .

(٢) انظر كتاب (شراب الأرواح) ص ٤٠ للإمام المجدد .

(٣) سورة فاطر آية ٢٨ .

ثم يلى هذا رجل منحه الله الرحمة فى قلبه والشفقة على عباده وهو من أهل المعاملة .

ثم يلى هذا رجل زكى الله نفسه ، وظهر أخلاقه حتى ذلت نفسه فى عينه ، وهو المتخلق بالأخلاق الجميلة .

وكل واحد من هؤلاء يجمل السالك على يده بما جملة الله به ، وكلنا نعلم أن الله يهب على الأخلاق ما لا يهبه على غيرها ، فكل مسلم لا يترى على يد مرشد لا يذوق لذة الإيمان ، ولا لذة التقوى ، وربما اغتر بأعماله فأفسد إبليس عليه حاله ، وكم سالك زلت به قدمه ، وواصل ارتد على وجهه ، ولا أمان لمكر الله ، فالسالك على يد المرشد فى حصون الأمن من وسوسة الشيطان وخدع النفس ، وبه ينال الرقى إلى مقامات اليقين من التوبة ، والخوف ، والرجاء ، والحجة ، والتوكل ، والمشاهدة ، والرضا ، والصبر ، وغيرها ، حتى يبلغ مقام المقربين ، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

إذا يتعين على كل مسلم أن يتلقى تلك الأسرار ، وأن يقتدى بالمرشد فى الأعمال ليكون أشبه الناس برسول الله ﷺ . وكل مسلم لم يتلق العلم من العالم الربانى ولم يقتد

بالمُرشد الكامل يخشى عليه من الشرك الخفى ، أو الأُخفى ،
من الغرور بالنفس والعمل والنسب والجاه ، نسأل الله السلامة
من الآفات فى الهجرة إلى الله تعالى ، إنه مجيب الدعاء .

من هو المرشد ؟:

هو الدال على الخير ، العامل به ، الأمر بالمعروف ، والنهى
عن المنكر .

وأنواع الإنسان أربعة :

١ - إنسان كلى : وهو رسول الله ﷺ .

٢ - وإنسان كامل : وهم الرسل القائمون مقامه ﷺ ،
قبل إشراق شمسهِ المحمدية فى عالم الإمكان ، وأبداله صلوات
الله عليه المجددون لسنته بعد رفعه عليه الصلاة والسلام إلى
الرفيق الأعلى .

٣ - وإنسان روحانى : وهم السالكون المقتدون .

٤ - وأما الرابع : فحيوانى عاص من المسلمين ، أو
شيطانى غاو كافر أو منافق .

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان وسطا بين

العالمين ، وأن يخفى عنه ما به سعادته الروحانية ، وأن يلهمه ما به سعادته الدنيوية ، قال سبحانه : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »^(١) . ومعلوم أن السمع والأبصار والأفئدة آلات لتحصيل العلم بالله وبآيام الله وبأحكام الله ، فالأذن تصغى للحكمة ، والعين تشهد أنواع الآيات في الكائنات والقلب يفقه تلك العلوم .

أما ما يتعلق بالضرورى والكمالى من الدنيا ، فلا يتوقف تحصيله على مرشد ، لأن كل أنواع الحيوان ألهمت بالفطرة طريق تحصيل ما لا بد لها منه ، والولد يولد من بطن أمه عالماً بما به حفظ حياته من الرضاع إلهاماً من الله تعالى .

ولما كانت العلوم والأعمال التى بها نيل مرضى الله ومحابه ليس للعقل أن يحصلها إلا بمرشد ، اقتضت الإرادة الإلهية أن يبعث الرسل مبشرين ومنذرين . ولما كان ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، قد يخفى فهمه على أكثر الناس - بعد رفعهم إلى الرفيق الأعلى - تفضل الله تعالى فأتاب عنهم

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

أبدالا لهم ، يقيمون حججه ويوضحون محاجه ، ويبينون للناس سبله سبحانه ، لنحكم على عجز العقل عن نيل ما به السعادة ، بل وعن هجومه على الغيب المصون ، قال تعالى : « ثم إن علينا بيانه »^(١) فهو المبين سبحانه ، ولكن يتفضل تنزلا فيبين لكل مرتبة من المراتب على قدر ما تطيقه القلوب ، قال تعالى : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا »^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام : (رحم الله خلفائي) وقال صلوات الله عليه وسلامه : (يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) . ومعلوم أن السالك في طريق الله تعالى إذا لم يؤسس سيره على محبة الله ، ومحبة رسوله ﷺ ، وحب الخير لخاصة المسلمين وعامتهم لم ينل خيرا ، والسالك الذي لا يقوم بإخلاص عاملا لله على هدى رسول الله ﷺ قل أن يصل إلى مقصوده .

ولما كانت محبة الله تعالى لا يظفر بها السالك إلا بسماع ما له علينا سبحانه من النعم ، وفهم أنوار جماله وأسرار بهائه ، وعظمة جلاله ، وسواطع أنواره ، وإدراك مراتب الوجود ،

(١) سورة القيامة آية ١٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩ .

ونسبته في مرتبته ، وما تفضل الله به عليه من خلقه بيديه ،
ومن نفخته فيه من روحه ، وسر سجود الملائكة لآدم ،
وحكمة جعله خليفة عنه في الأرض ، وعنايته سبحانه بالإنسان
حتى أعد له مالا عين رأت ولا أذن سمعت في جوار قدسه ،
ومنازل الأطهار من خيرة خلقه ، وبذلك يحصل له الحب
الجلاب إلى حضرة القرب من الله تعالى .

ولما كان كل ذلك لابنائه السالك إلا بصحبة المرشد القائم
مقام رسول الله ﷺ كان لابد لكل سالك من مرشد ،
فالمرشد في الحقيقة هو صورة رسول الله صلوات الله عليه
المحملة بجماله المحمدي إلا أنه لا يوحى إليه ، انطوت النبوة بين
جنبه ، وحفظ الله قلبه ولسانه ، لأنه ممد من روح العصمة ،
فهو النجم المضيء لأهل عصره ، وقد جعل ﷺ المرشدين
- في مقام التمكين - إخوانا له في الحديث الطويل : « وددت
لو رأيت إخواني الذين لما يأتوا بعد » بسند مالك بن أنس في
موطئه ، فأنزلهم منه صلوات الله عليه منزلة الإخوان لأن الله
تعالى أكرمهم بأن جعلهم ورثة أنبيائه .

وللمرشد اقتباس من مشكاة رسول الله ﷺ تنكشف به
غياهب البدع ، وظلمات الفتن في كل زمان ، فهو حجة الله

تعالى القائم للحى القيوم ، وهو الإنسان المجمل بجمال الصديقين قولاً وعملاً وعلماً وخلقاً وعبادة ومعاملة وعقيدة ، كما قال ﷺ : « الوليُّ من إذا رُؤي ذكر الله لرؤيته » وقال أيضاً : « الولي إذا دخل بلداً كمل إيمان أهلها » .

المرشد ينوع الأفكار ويقوى اليقين الحق ، وتزكو به النفوس ، وتنشط الأبدان للعبادة ، ومن أكمل صفاته أن الله يلقي عليه محبة منه فلا يراه مؤمن إلا أحبه ، ولا منافق إلا هابه ، ولا كافر إلا خاف منه ، فهو صورة رسول الله ﷺ والمرآة التي أشرقت فيها معانيه المحمدية .

من هو السالك؟ (١) :

هو إنسان مسلم منحه الله النور الذى يقبل به الخير - والنور فى اصطلاحنا هو القابل - وحفظه سبحانه وتعالى من فعل ما يخالف ما أنزل الله على نبيه ﷺ وإن قبله فى بدايته من غير المرشد الكامل ألهمه الله الفرار إليه سبحانه ودله على المرشد ، فكان من خير أصحابه ، لأن ما يجعله الله من النور فى قلب السالك إليه جل جلاله يستبين به الحق والباطل ، فيجذبه

(١) انظر (مذكرة المرشدين) ص ٧٥ ، ١٣٠ .

الله إلى الحق بدليل قوله تعالى : « الله ولئى الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور »^(١) وقوله ﷺ : « يدُ المؤمن في يمين الله كلما وقع أقامه » .

والسالك يشناق إلى الحق ، والمشتاق إلى الحق قوى المسارعة إلى الحكمة ، ولشوقه إلى الحق إذا سمع كلمة حكمة تلقاها ولو من عدو لله ، قال رسول الله ﷺ : « الحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها أنى وجدها » ، وسماع الحكمة يجعل النفوس تعظم حاملها ، ولكن قد يكون حامل الحكمة غير الحكيم يحفظها ولا يفقهها ، قال تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً »^(٢) ، فإذا نطق الناطق بالحكمة قبلها السالك منه ، ثم وزن أحواله بهذا النور المجعول له من الله ، قال الله تعالى : « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »^(٣) .

فإذا اطمأن لها قلبه ، وشهد من الحكيم العمل بها أحبه واقتدى بعلمه ، وعمله ، وحاله ، وإذا لم يطمئن قلبه ولم يشهد

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٢) سورة الجمعة آية ٥ .

(٣) سورة النور آية ٤٠ .

عمله بالحكمة أخذ منه الحكمة وفارقه . فليس كل محصل للعلم علما ، ولا كل مبين للأحكام بدلا من أبدال الرسل ، قال الله تعالى : « وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين »^(١) . وقال ﷺ : « قراء أمتى فساقها » .

إذا فهمت يا ولدي هذا ؛ فلا يعتبر السالك سالكا في طريقنا إلا إذا جملة الله بكل تلك المعاني ، وأنت تعلم يا بني أن أصحاب رسول الله ﷺ كان بينهم المنافق ، والشاك ، والمتردد في دينه ، والمظهز الإيمان لغرض من الأغراض ، وكلهم يرون من رسول الله الميل والتأليف ، مع إعلام الله إياه بحقيقة ما انطوت عليه قلوبهم ، قال ﷺ : « أُمِرْتُ بِمَدَارَةِ النَّاسِ » وقد أمرنا ﷺ أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

فالسالك حقا من منحه الله التسليم وقدر له صحبة المرشد الكامل ، فأفرده بالقصد دون غيره من الخلق ، حبا في أن يفوز بمعية رسول الله ﷺ بنيل صحبة أشبه الناس به شوقا إليه عليه الصلاة والسلام ، ويكون في الحقيقة في معية النبي عليه الصلاة

(١) سورة الأعراف آية ١٧٥ .

والسلام ، بمعنى أنه لا يعتبر للمرشد وجودا فيعظم أمره ونهيه ، وإنما يكون وجوده في معية الحبيب المصطفى ، فيقبل من المرشد ما يعلم أنه من السنة ، ويرد ما لا يفقهه قلبه من القول والعمل ، معتقدا أن السلوك هو العمل بصريح السنة والكتاب ، حتى يمنحه الله تعالى المراقبة أو المشاهدة ، فهو لا ينكر على المرشد الكامل فيما لا يفقهه قلبه – مما يعتقد أنه حق في مرتبة المرشد مادام المرشد لا يفعل محرما ولا يقول بضلال – مثال ذلك : أن المرشد إذا ترك الأسباب أو عمل عملا يقتضى مهانة من تغيير هيئة ، أو فرار إلى الغابات ، أو فارق النساء والمشتبهات ، أو مالت نفسه إلى السماع ، أو زار الملوك والأمراء ، مما حصل للأفراد من المرشدين ، فلا يقلده السالك في ذلك ولا ينكر عليه .

أما إذا فعل محرما ، أو أمر به ، أو ترك فريضة وجب على سالك مفارقتها بسرعة – ولو كان المرشد يريد امتحان السالك في طاعته أو يريد امتحانه في يقينه برسول الله ﷺ – وعلى السالك في مثل هذه الحال أن يستبين الأمر منه جليا مع التمتع عن الوقوع فيما يأمره به .

أما السالك الذى لا بصيرة له إذا قلد المرشد في عمله

المتقدم ، أو سلم له فيما يعلم حرمة فلا يعتبر عندنا فقيرا من فقراء الطريق ، فإن المراد بالسلوك تجاوز عقبة الإلحاد والانتشال من وحلة التوحيد والتخلي عن نظر النفس ونزوعها ، حتى يكون السالك إنسانا مسلما مقبلا على الله بكليته .

أهم صفات السالك إلى الله تعالى :

- ١ - إثارة إخوانه على نفسه .
- ٢ - الزهد فيما في أيدي الناس إلا لضرورة مقتضية .
- ٣ - المسارعة إلى أن يكون نافعا لإخوانه بقدر استطاعته .
- ٤ - السمع والطاعة لله ولرسوله وللمرشد مادام آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر .

ومن أخص علامات السالك :

قبول ما لا يلائم نفسه بانشرح صدر وفرح ، والوقوف عند أدبه مع المرشد مهما أثنى عليه ورفع ، وعدم الغرور بنفسه ولو أقبل عليه العالم أجمع ، ما دامت شمس المرشد مشرقة في أفقه حتى يبلغ اليقين الحق .

السالك المصاحب للمرشد :

لم يبلغ درجة المرشد من العرفان . والمعرفة بها كمال التحقق في العبودية ، وقد يرى بعض السالكين يعمل ما يخالف الشريعة مظهرا أنها من المعرفة ، ولو أن المعرفة تبيح مخالفة الشريعة لكان أولى بذلك الخلفاء الراشدون ، والمرشدون الكاملون ، ومعرفة تبيح مخالفة الشريعة معرفة - ولكنها معرفة الشيطان - وإلهام - ولكنه من إبليس - ومخالفة المرشد دليل على الخيبة .

ماهي المعرفة ؟:

المعرفة أن تعرف نفسك ، فتعرف بمعرفتها ربك ، وهل المعرفة التي تفقد العبد حقيقته حتى يكون إلهًا أو مخالفا لأحكام الإله معرفة ؟ كلا ، بل هي معرفة ظلومية وجهولية ، إنما المعرفة حفظ الأدب في الطلب ، وكشف الحقيقة للحفظ من العطب ، ومتى كان العبد المقهور يصير ربا قادرا ؟.

والسالك يقف موقف الأدب مع المرشد فيعادي شهوده إن خالف عبارة المرشد ، ويكره إلهامه إن أخرجه عن الأدب مع المرشد ، والسالك في طريقنا ميت أحياء الله وجعل له نورا يمشي به في الناس من غير شك ولا إلباس ، وإشارات المرشد

كأشعة أنوار الشمس تظهر ماحسن ، وماقبح ، فتستبين
النفوس الإبليسية من النفوس الملكوتية مع المرشد ، وقد قال
الله تعالى : « يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا
الفاسقين » (١) .

وللسالك أخلاق روحانية وآداب إحصانية ، فهو في
الحقيقة عين المرشد وإن كان مريدا ومرادا لله تعالى وإن كان
بعيدا فإن السالك ليست له إرادة ولكنه مراد من الأزل ،
حفظني الله وإخوتي المؤمنين جميعا من صحبة المضلين ، ومن
الإصغاء إلى الجاهلين ، وبين لنا سبحانه كتابه وسنة نبيه بلسان
وعمل أفراد المحصنين بحصون أمنه ، إنه مجيب الدعاء .

الأبدال والصديقون (١) :

شهود الوجود بعد وجود الشهود تلوين ، ومحو وجود
الشهود تسليما للقرآن تمكين ، واتباع الحبيب في التمكين برهان
على محبة الله للمتمكن الأواه المنيب .

ومتى أحب الله العبد اقتطعه ، أو اصطنعه ، أو اختطفه ،

(١) سورة البقرة آية ٢٦ .

(٢) راجع كتاب : (دستور السالكين) .

فاصطفاه ، فجمله بجمال ظهور العبد وظهور الرب سبحانه ،
فيكون محبا لله لأنه طلبه الله ، ويكون محبوبا لله لأنه صورة
استجلاء معاني صفاته العلية ، وهذا هو الفرد الأكمل
والإنسان الكلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

ويفوز بقسط من ميراثه الصديقون الذين ضين الله بهم عن
أن يشهد غيرهم جليلة مانالوا من عنده ، وما حظوا به من
لدنه ، وهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة ، والأنجم المضيئة في
ظلمات الشبه ، قال تعالى : « وقليل ما هم »^(١) يظهر الله
منهم من يظهر ، ومع إظهاره ، فهو لدنه أو عنده ، ويخفى الله
من يخفى ، ومع إخفائه فهو يمشى بما جعله الله له من النور في
الناس ، ومن ظفر بالخفى منهم مسلما ، صار بنفسه عالما ،
ومن ظفر بمن أظهره الله صار عالما بالله ، وهو فرد من الأفراد
الذين عند ربك ، قال سبحانه : « الله يصطفى من الملائكة
رسلاً ومن الناس »^(٢) وهؤلاء هم الذين انطوت النبوة بين
جوانبهم إلا أنه لا يوحى إليهم ، أعاننا الله على شكره ، وأقامنا
عمالا له بالإخلاص ، متمتعين بالحضور في ذكره .

(١) سورة ص آية ٢٤ .

(٢) سورة الحج آية ٧٥ .

الباب الثاني

من المكنون الفصل الأول

الله ورسوله وآدم

الله جل جلاله :

هو الاسم الأعظم الواجب الوجود لذاته ، المفرد العلم
الدال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى والإلهية
الأحدية ، الجامع للجمال والجلال ، والبهاء والنور والضياء ،
والكمال لذاته بذاته .

ومن الأثر ترك التكلم في اشتقاقه وجموده ، ومن اصطلم في
إلهانية الرب جل جلاله واصطنع لمهيمنيته سبحانه غاب عن
الموجودات ، وفر من المكونات علوا وسفلا كما قال الله تعالى :
« فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ » (١) .

(١) سورة الداريات آية ٥٠ .

وأهل العزائم منحهم الله النور الذى به أفردوا حضرة هذا الاسم المقدس بالقصد دون غيره ، لما فى جميع الأسماء من الصفات التى تدعو السالك إلى التأله لها إلا هذا الاسم الأعظم ، فإنه - مع دلالاته على جميع الكمالات استجماعاً - لا يلحظ من اصطفاهم الله فى حالة الإلهانية^(١) غير الأحدية فى عماء العماء وغيب الغيب ، تفريدا للحضرة العلية بالقصد ، وفرارا من الغين إلى العين .

ذكره حضوراً طمأنينة القلوب ، والنطق به وجوداً خروج من الظلمات إلى النور ، وهو سبحانه وتعالى وليُّ المؤمنين ، قال تعالى : « فالله هو الوليُّ »^(٢) لا يخلص إيمان مؤمن من الشوب إلا إذا تأله له دون غيره ، وهو جل جلاله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

محمد رسول الله :

أول الرسل وخاتمهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذى أرسله الله رحمة

(١) إلا مهما فيه : وهو مقام من مقامات الملائكة الذين هم من عوالم عمار ما فوق العرش وهم الأهلون لعظمته تعبداً وذللاً .
(٢) سورة الشورى آية ٩ .

للعالمين ، وسراجا منيرا أسرج سرج الرسل والأنبياء من قبله ،
والصديقين والشهداء من بعده ، سماه الله سراجا منيرا ولم
يسمه شمسا ، لأن السراج يسرج غيره ، ولكن الشمس لا
تجعل شمسا غيرها ، وهو ﷺ أول الإرادة وآخر العمل .

وهنا أبسط لك بساط الموانسة لتلحظ بعيون روحك
وميضاً من سر منازلته ﷺ ، وتقتبس بسرك قبسا من
مشكاته المحمدية ، تكون به متجملاً باليقين الحق في مقام
العبودية المطلقة :

إن مقتضى كمال الأسماء والصفات إبراز المرأى التي تظهر
فيها تلك المعاني ، ولما كان العالم أجمع إنما خلقه الله تعالى ليظهر
سبحانه ببدايع إبداع صنعه ، وغرائب حكمته وعجائب
قدرته ، وظهوره إما لنفسه فاعلا مختارا ، أو لخلق ربا معبودا
قادرا قهارا ، اقتضت إرادته الأزلية تعيين حقيقة كاملة قابلة
لكمال تجليه وظهور معانيه ، فكانت تلك الحقيقة المختارة
لحضرته : هي حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، اقتضت
تلك الحقيقة في حضرة العلم مقتضياتها التي بها تكون سدرة
منتهى علوم الخلائق المغشية بكمال ظهور المعاني - معاني
الأسماء الربانية - ومظهرها أكمل لكمال المعاني المناسبة لحضرة

الألوهة من العبادة والعبودية والعبادة ، روحا وعقلا وجسما
وحسا ، ومقتضيات تلك الحقيقة ظهور :

(أ) عالم يطيع فلا يعصى ، وهو ثلاثة أنواع :

١ - أعلى عليين : وهم الآلهون المهيمنون بجلال الله فوق عمار
سمواته .

٢ - وعالون : وهم الخافون بعرش الرحمن وهم الكروبيون .

٣ - وعمار السموات وملوك الأرض : وهم الملائكة
المقربون .

(ب) ونوع يعصى ولا يطيع : وهم المردة وشياطين الجن .

(ج) واقتضى الكمال الرباني أن تكون حقيقة أخرى قابلة
للطاعة والمعصية ، ليتم ظهور معاني الصفات ، فخلق سبحانه
آدم ورفع على الملائكة ، قال تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » (١) وآدم علم
الملائكة بعض الأسماء ، فكان آدم محيطا بكل الأسماء ،

(١) سورة البقرة آية ٣١ - ٣٢ .

والملائكة في حاجة إلى تعلم بعض الأسماء من آدم ، لذلك قال الله تعالى : « يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » (١) .

ظهر مقتضى إرادة الله في تلك الحقيقة ، فأطاع آدم وعصى قال تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » (٢) إبرازا لسر الإرادة وإظهارا لتجلى الاسم التواب ، الغفور العفو ، وتنبيها لأولاده من بعده أن يسرعوا بالتوبة إذا أخطأوا ، فانبلجت حقيقة إرادة الله تعالى في إظهار آدم .

افتتح سبحانه وتعالى إبراز تلك الحقائق بآدم ، ليكشف من اجتباهم بحقيقة نشأتهم الأولى أنها من أركان الوجود : التراب والماء والهواء والنار . فيعلم الإنسان نشأته الأولى فيقف موقف العبد خشوعا لربه ، ولذلك فالله تعالى كرر تلك الحقيقة في القرآن أكثر مما كرر غيرها ، وهى الدواء الأخير لمرض الشرا المنزل منزلة الكى في المرض العضال ، فكم قال الله تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالَةٍ من طين ثم جعلناه نطفةً و قرارٍ مكين » (٣) فأثبت أن نشأة الإنسان الأولى من طين أو ما

(١) سورة البقرة آية ٣٣ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٢ - ١٣ .

مهيمن ، يستحضر عند إسباغ آلاء الله عليه رتبته الأولى ،
شاكرًا الله على جزيل نعماءه .

وإني أئين لك في هذه العجالة ما يمكن أن يحيط به عبد
ووجه بأنوار تلك المكانة المحمدية على قدره - لا على قدر
مكانتها من الله - قال سبحانه : « وما أوتيتم من العلم إلا
قليلا » (١) :

خلق الله نور حبيبه محمد ﷺ من نوره : فهو العقل الأول
الذى نظر الله إليه بدءًا وخلق لأجله العالم أجمع ، تجلى فيه تجليا
عاما حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية لأعلى عليين ولعالين ،
وللملائكة عمار ملكوت الله تعالى ، فكان آدم مظهرا لشهود
تلك المعاني للملائكة ، ورسول الله ﷺ المظهر الأكمل
لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحاني العالى والأعلى ،
وبتلك الجمالات نفسها زج به في نور القدس ووقف جبريل
- الذى هو الروح الأمين - دون صدرته المحمدية قائلا : لو
تقدمت لاحتترقت . واثق الله الرسل بدءًا له ﷺ فكان الموائق
- يكسر شاء - هو الله ، والموائق - بفتح الشاء - حقائق الرسل
صلوات الله عليهم ، فأشهدهم سبحانه وتعالى ظهوره حقا في

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

حقيقة حبيبه ومصطفاه ، ليلحظوا - بالعيون التي وهبها لهم - محاب الله ومراضيه فيما تقتضيه تلك الحقيقة ، فصارت - بكمال الاستحضار - معالم بين أعينهم في طورهم الدنيوى ، يمثلونها للأمم ، ويرسمون صورتها على جواهر نفوس العالم ، وتشرق بهم شمسهم ﷺ ، ولم يخل سفر من الأسفار - من لدن آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام - إلا وتجل بذكر اسمه ، والحث على اتباعه والتوسل إلى الله تعالى بجاهه ، كتم ذلك أعداء الحق من أهل الكتاب ، ولكن القرآن الكريم بين لنا ذلك جليا .

قام الله لحبيبه بدءاً ، وأقام حبيبه مقامه ختما فقال سبحانه :
« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (١)
فانظر بعين روحك ، واصغ بآذانها ، واحجب عن أذن حسك وعقلك فإن المقام فوق العقول ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بعث الله الرسل قبله بما لا بد لأهل كل زمان من الكمالات التى بها يكون الناس فى أمن وأمان ، وعلم بما يجب عليهم ،

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

حتى تم الدور وتأهل الناس للكمال المطلق ، فأشرقت تلك الشمس الكلية بكل الكمالات التي منحها الله للرسل منه ﷺ ، فكان ماجاء به الرسل قبله كمالات نابوا في تبليغها عنه ، وهو ﷺ أصل تلك الكمالات ، فلما أشرقت شمسهُ ، أشرقت بالكمال المطلق الذى يدل عليه قوله تعالى : « اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً » (١) .

وقد أنزل الله تعالى أمة حبيبه ومصطفاه منزلة الرسل في كل مقاماتهم ، فكانه قال للرسل : اعملوا ولا حرج - لعصمتهم - وقال لنا : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (٢) وأثبت للرسل الشهادة على الناس يوم القيامة وأثبتها لنا ، قال تعالى : « شهداء على الناس » (٣) ووثق الرسل له ﷺ ، وأثبت أنه بايعنا بنفسه ، وبين للرسل بطريق الوحى وأبقى فينا هذا المقام مقام البيان قال تعالى : « ... لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (٤) وأثبت الخيرية للرسل

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٤) سورة النساء آية ٨٣ .

وأثبتها لنا . انظر بعين عقلك لما أقول ، فإن إثبات الخيرية للرسول بالوحي وإثباتها لنا بطريق الإلهام قال تعالى : « كنتم خير أمة أُخْرِجَت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (١) وهي وظيفة الرسل ، فكما أقامهم صلوات الله عليهم مقامه ﷺ : أقامنا نحن مقامه ﷺ .

انتسخت شرائع الرسل وشريعته باقية لم تنسخ ولن تنسخ إن شاء الله تعالى ، وهذا يدل على بقاءه محفوظا فينا ، ونعوذ بالله من زمان نفقد فيه رسول الله ﷺ بيانا وتعلينا وعملا وحالا ، قال سبحانه : « واعلموا أن فيكم رسول الله » (٢) وقال الله سبحانه وتعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » (٣) فأشار بالموت أو القتل إلى محمد ﷺ ، وقال في مقام حفظه فينا : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٤) خلق الله العالم لمحمد ﷺ ، وخلق محمدا ﷺ لله لأنه مراده المحبوب الذي هو

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات آية ٧ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

(٤) سورة الحجر آية ٩ .

مظهر كمال ظهور صفاته العلية ، والحقيقة الظاهرة الجليلة المجملة
بمحابه ومراضيه ، من الأعمال التى أرادها لنفسه وأمر خلقه
بعملها .

أرسله الله رحمة للعالمين ، ونعم ، لأنه رحم الحس بما أباحه
له من النظر والسمع والشم والذوق واللمس والتمتع بنعم الله
من مسرات الملك والملكوت ، ولم يكن ذلك قبله ﷺ لنبي
ولا لولى .

رحم الجسم ﷺ بما متعه الله به من الزينة والرياش ،
والتنعم بالمشتبهات المباحة شرعا والجزاء عليها إذا استعملها
العبد بطريق الرعاية ، قال سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة
الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١) .

رحم العقل صلوات الله عليه لأنه جعله السلطان الفاعل فى
الهيكل الإنسانى وأمر بالاقتداء به ، والنظر به فى كل الحقائق ،
فأظهر العقل سر تسخير ما فى السموات وما فى الأرض للإنسان
وذلت الحقائق كلها أمام الإنسان بعد أن كان يعبد الأنهار
ويقدس البهائم والأناسى ، فظفر العقل بنهاية بغيته به ﷺ ،

(١) سورة الأعراف آية ٣٢ .

وتلك الحقائق جليلة ، إذ قبله ﷺ كان العقل مملوكا للشهوة والحظ والهوى ، فكان الإنسان يعبد الحجر ويذل له ، حتى بلغت عزة المسلم الذى خرج من الجاهلية العمياء أن يظاً ربه الذى كان يعبده بنعله ، وكم من جاهلى أسلم فكسر الصنم إذلالا له وإعزازا للحق ، وكثير منهم أخذ قطع الأصنام فجعلها توضع فى المراحىض .

رحم الروح صلوات الله عليه وسلامه ، بما أنعم الله به عليها من شهود آياته الجليلة فى الكائنات ، وأنواره الدالة على وحدانيته فى الآثار ، ومن سياحتها فى ملكوته الأعلى ، ومن إشرافها - إذا كملت - على قدس عزته وجبروته .

رحم الملائكة وعالين وأعلى عليين بما جمل الله به المسلمين من معانى رضوانه وعفوه ، وغفرانه وقبوله ومواجهته ، وأهل حظائر الملك يؤنسهم ويسرهم رضا مولا هم .

رحم العالم الحيوانى والنباتى بما أودعه من الرحمة فى قلوب المسلمين الذين يستعملون تلك الأنواع .

فصدق الله العظيم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) .

(١) سورة الأبياء آية ١٠٧ .

جمل الله حبيبه بأسمائه الحسنی ولم يجعل أحدا بهذا الجمال أبدا ، فقال تعالى : « حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »^(١) .

وأكمل له الجمال ، بأن منحه كل أخلاقه الإلهية قال سبحانه : « وإنك لعلی خلق عظيم »^(٢) بإضافة خلق إلى عظيم ، يعنى لعلی خلق الله تعالى .

أثبت له الشفاعة العظمى إثباتا جليا بينا بقوله : « يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا ... »^(٣) وكلنا يفهم أنه رحمه الله العامة ، ومن منحه الله تلك الرحمة لا يكون أنسه ومؤمن في النار يعذب ، ومعنى أنه لا يخزيه سبحانه يقتضى أن يكون له طلب وأمل ومقصد ، وطلب هذا السيد العظيم ﷺ نجاة العالم الإسلامي في هذا الموطن .

رفعه الله تعالى رفعة لم يرفعها أحدا أبدا ، فأقامه مقاما من الرفعة التي تناسب كمال الألوهية بجعل العالم أجمع يحمدهونه

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٢) سورة القلم آية ٤ .

(٣) سورة التحريم آية ٨ .

– والحمد في الحقيقة لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى – قال :
 « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »^(١) والمقام المحمود – كما
 بينه العارف بعيون الكشف – أن يجلسه فوق العرش ويقول :
 يا محمد ، أنا منزله عن الجسم وغنى عن المكان ، فاجلس هنا
 ليعلم الناس قدر منزلتك عندي ، ولديها يحمده العالم أجمع ،
 وهو المقام المحمود .

جل الله الرسل من جماله وقد ظفرنا – والحمد لله – بنسبتنا
 إليه مباشرة ، فنحن أمته ، وهو رسول الله إلينا ، وبه شرفنا
 ربنا وفضلنا ، وإن قصرت أعمارنا وقلت أعمالنا ، وقد أظهر
 الله سر قوله للملائكة : « إني أعلم ما لا تعلمون »^(٢) فينا نحن
 أمته ﷺ ، حيث وفقنا لطاعته ، وأشهدنا خفى مشاهد
 التوحيد ، فنحن نصلى ونستغفر كما أمرنا ﷺ ، والملائكة
 أثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس : « ونحن نسبح بحمدك
 ونقدس لك »^(٣) ونحن نخشى من نسبة القربات إلينا فنستغفر
 الله منها إقرارا بأنه الفاعل المختار ، وأنه تفضل علينا فوفقنا لما
 يحبه .

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ .

(٢) ، (٣) سورة القرة آية ٣٠ .

فله المنة والشكر فى أن أقامنا مقام محابه ومراضيه ، ونسب إلينا ما خلقه لنا ، فنخشى أن نغفل عن هذا المشهد فنستغفر الله تعالى رجوعا إليه ، وطلبا منه أن يستر علينا نقائصنا وجهلنا ، ولم يكن ذلك للملائكة ، وهذا المقام من المقامات التى لا ينزل فيها إلا خاصة أحبابه من المقرين فوق أهل اليمين ، وذلك لم يكن بجهودنا ، ولا بكدنا ، ولكن ذلك فضل الله علينا بحبيبه وسيدنا محمد ﷺ .

تلك النعم يا أخى لا تقتضى بطرا وكفرا ، ولكنها تقتضى ذلا وشكرا ، فاستحضر يا أخى نشأتك الأولى ، وانظر إلى ماتفضل به الله عليك بانتسابك إلى هذا السيد العظيم ﷺ ، وقف موقف الحيرة عجزا عن حصر الآلاء ، والدهشة قصورا عن عد النعماء ، ثم انظر إلى هذا السيد بالعين التى تليق بما حوّلك الله لتعلم مقدار فضل الله عليك ولتذكر نعمة الله ، قال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم » (١) يعنى محمدا ﷺ .

والشكر يا أخى فى هذا المقام كمال اتباعه ﷺ ، ولا تعجب يا أخى ، فاتباعه ﷺ واجب لكلماته ، ولأنه شكر

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

للمنعم ، ولكن الله تفضل علينا باتباعنا له فجعلنا محبوبين له .

إن التاجر الكيس يترك النوم والراحة لربح قليل يزول بموته ، وربما كان لا ينفعه ، فكيف بك أيها العاقل وأنت باتباعك له ﷺ تمنح مسرات حسك ونعيم جسمك وبغية عقلك وطلبة روحك في الدارين وتظفر بمحبة الله تعالى التي ترخص في سبيلها الجنة ونعيمها !!؟.

اعجب يا أخى - كل العجب - من رجل يعمل الخير لنفسه ، ليظفر بالحسين بتوفيق الله ومعونته ، ثم ينسب الله إليه ما أعانه على فعله كأنه أوجده وأبدعه ، ثم يمن الله عليه بمحبته جل جلاله ، كل ذلك بسبب اتباعه له صلى الله عليه وسلم ، فما أخف ما أمرنا به وأسهله ، وما أعظم وأجمل وأكمل ما تفضل به علينا ، فشقى والله عبدٌ عبدٌ هواه ، ولم يتبع رسول الله . أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لكمال اتباعه ، وأن يمنحنا الإخلاص ، وأن يفنينا عن شهود الإخلاص في أعمالنا حتى لا يكون بيننا وبينه بين يحجبنا عن شهود جماله الظاهر وإحسانه الوافر ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

على القدسي هل أشرقت في حالة الصفا
 فواجهني المحبوب طه المصطفى
 مواجهة الزلفى أم الشمس أشرقت
 فلاح الجميل الحق جهرا بلا تحفا
 وهل أنا في حال اتحاد به أنا
 بكوني أم قد عذت للبدء منصفاً
 فإن كان ما للروح بدءاً يرى لها
 ورسمي صلصال بهايوة الجفا
 تحيط بي الآثار من كل وجهتي
 وتجلي لي الأنوار والكون قد عفا
 أليحي أياً روجي الحقائق لي عسى
 أشاهد غيب الغيب في حالة الوفا
 أرى ساطع الأنوار من غير حجة
 وفي الكون ناسوتي من الرين ما صفا
 تجردت فيما قد تراءى لناظري
 أبالروح أشهده وحسي قد اختفى
 فهل نفذت روجي إلى الأفق العلي
 ورسمي في السور المحيط وما اقتفى

أَمْ الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ أَشْرَقَ نَوْرُهُ
 أَضَاءَ مَعَالِمِي فَصَحَّ لِي الصَّفَا
 نَعَمْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الرَّبِيعِ مُضِيَّةً
 تُدِيرُ لَنَا رَاحاً طَهوراً وَقَرَفَا
 أَذْكَرَى بِبُشْرَى أَمْ ضِيَا الْوَجْهِ لَاحَ لِي
 فَسْتَرَّ نَاسُوتِي وَقَدْ كُنْتُ خَائِفَا
 أَمْ الْفَرْدُ فِي الذِّكْرَى تَنْزِلُ مُنْعِمَاً
 عَلَى مَنْ صَفَوْا بِالْقَرَبِ فَضْلُ الْإِصْطِفَا
 أَيَا سَيِّدِي الذِّكْرَى تُجَدِّدُ نَشُوتِي
 فَكُنْ سَيِّدِي بِالْفَضْلِ وَالْوَصْلِ مُسْعِفَا
 فَأَيَّامُ ذِكْرِي مَوْلِدِ الْمَصْطَفَى بِهَا
 بُلُوغُ الْأَمَانِي أَحْيِ هَذَا الدَّنْفَا
 أَيَا سَيِّدِي نَيْلُ الرِّضَا مِنْكَ بُغْيَتِي
 وَأَنْتَ غِيَاثِي أَحْيِ صَبَا شَغِفَا

وقال رضى الله عنه :

تَمَلَّتْ مِنْ الشَّمِيمِ بَصَحْوِ قَرْقِي (١)

(١) أُمْلَى الْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ أَبُو الْعَرَّامِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ٨ ربيع أول سنة

فَكَيْفَ إِذَا سَقَانِي جَمْعَ شَوْقِي
 عَيْرٌ أَسْكَرَ الْأَرْوَاحَ لَمَّا
 سَرَى سَحْرًا فَجَدَّدَ نَارَ عِشْقِي
 سَرَى مِنْ طَبِيعَةِ بُشْرَى لِرُوحِي
 يُلِيحُ لآلِهِ أَنْوَارَ حَقِّ
 أَلْهَتْ فَعَبْتُ عَنِّي فِي شُهُودِي
 فَأَظْهَرَ نُورَهُ بِجَلِّي رَقِي
 تَرَاءَى لِي بَعْدَ (أَلَسْتُ) (١) عَيْنًا
 جَذَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ بِصَدَقِ رَقِي
 سَمِعْتُ (أَلَسْتُ) كَشْفًا فِي اتِّصَالِي
 بِهِ وَرَأَيْتُ نَوْرَ الْوَجْهِ فَوْقِي
 تَجَلَّى ظَاهِرًا فِي الْكَوْنِ حَتَّى
 بِهِ أَفْنَى شُهُودِي حَالَ مَحْقِي
 أَنَا سَيَّرْتُ وَلاَحَ الْوَجْهِ نُورًا
 فَأُثْبِتْنِي لَهُ عَبْدًا بِعَتَقِي
 أَلَا حَتَّى لِي (أَلَسْتُ) ضِيَاءَ الْمَعَالِي

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ... » سورة الأعراف آية ١٧٢ .

أماي الفرد في جَمعي وفَرقي
أراه في (أَلستُ) وفي كياني
جَلِيًّا نُورُهُ غَرْبي وَشَرْقي
يُسْتَرُّ نُورُهُ شَرْقاً وَغَرْباً
أنا المصباح نُورٌ وميض برقي
فَتُخْفِينِي المباني في ظُهورِي
تُظَلِّلُنِي المعاني في التَّرقِي
رُقِيَّيْ حفظُ مُرْتَبَتِي بِسُفُلِ
أَكُونُ العبدُ في أطوارِ خَلْقِي

رمز آدم :

رمز آدم عجيب جدا فوق جميع الرموز ، لا يتحقق وصول
فرد من الأفراد إلا بعد أن يفك له رمزه ، لأنه الجامع لكل
الحقائق من العوالم ، والوسط بينها ، والصورة الكاملة للرحمن
المجملة بجمال الخلافة عن ربنا جل جلاله ، ومن تناول من
شراب قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » (١)

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

وشم عبير قوله تعالى : « إني جاعل في الأرض خليفة »^(١)
 وفقه المحبة في قوله : « مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي »^(٢)
 بعد قوله تعالى : « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء »^(٣)
 وقوله سبحانه : « تبارك الذي بيده الملك »^(٤) يعلم أن آدم
 رمز الرموز ، بل وكنز مضمون به على غير أهله .

رب معترض علينا يقول : إن الله تعالى قال : « والسماء
 بنيناها بأيدٍ »^(٥) فأجيبه غير لأئم عليه بجهله بمتن اللغة العربية :
 إن لفظة « أيدٍ » ليست جمع (يد) بل هي مصدر آد يثيد
 أيذا ، وأيد في الآية الشريفة (قوة) أي : والسماء بنيناها
 بقوة .

آدم وما أدراك ما آدم ، خذ مني بالإشارة وسلّم : إن أعلى
 عليين بالنسبة لله تعالى كأسفل سافلين ، والله فوق العرش كما

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) سورة ص آية ٧٥ .

(٣) سورة يس آية ٨٣ .

(٤) سورة الملك آية ١ .

(٥) سورة الذاريات آية ٤٧ .

هو فوق الثرى ، وهو رب العرش العظيم كما هو رب الثرى ،
والعرش والثرى سواء في جانب الله تعالى ، وكما أن الثرى ما
جانسه ولا لامسه ولا جسده ، فكذلك العرش ، ولكن الله
يعظم ما شاء بما شاء ، ويقرب إليه من شاء ، ويبعد من شاء ،
وينسب إليه من شاء وما شاء إحسانا وإكراما ، قال تعالى :
(طهرا بيتي) (١) .

وقال سبحانه : « واذكر عبادنا » (٢) وقال جل جلاله :
« نعم العبد » (٣) : وقال « إن الله اصطفى » (٤) : ولم تكن حقيقة
من تلك الحقائق تستحق شيئا من ذلك .

اقتضت حكمته سبحانه أن يكون ذا الفضل العظيم ، والله
يحفظ لكل رتبة من الوجود مكانتها التي بها تكون مقهورة
مربوبة ، أبدعت بعد العدم ، وأوجدت بعد أن لم تكن .

ومن عوالمه أيضا عمار ما فوق العرش ، وهم الآلهون
لعظمته تعبدا وذلا ، وما دونهم من عوالم الروحانيات العاليات

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(٢) سورة ص آية ٤٥ .

(٣) سورة ص آية ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ٣٣ .

من الكروبيين الذين هم في عظيم الكرب رهبة وخشية من جلاله وعزته ، وما دون ذلك من الخافين حول العرش المسبحين بحمده المسغفرين للمؤمنين ، وغيرهم من الملائكة عمار سمواته من السفرة البررة ، ومن المستنسخين لكتابة قدره ، والقائمين بتبليغ رسالته والحفظة الكرام ، وغيرهم من السائحين في الأجواء ، والقائمين على الأرجاء ، وغير ذلك من الأفلاك المنتثرة بسفاح السماء التي أظهر الله بها عجائب حكمته ، وغرائب إتقان صنعه من ثابتات وسيارات ، وليس فيها ثابت إلا بالنسبة لنظر العين ، وكلها سيارات تسمى بالثابتة ، منها ماسيره بطيء جدا وقد يقطع دورته في مئات من السنين ، وغير ذلك مما هو بين السماء والأرض ، وليس بين السماء والأرض فضاء ، بل ما من نقطة من نقاط هذا الجو البسيط إلا وفيها من الحقائق المختلفة والأنواع المتباينة ما يحير العقول من جرم الأرض وما عليها وما فيها ، مما لو كشفت حقيقة ذرة منها ونطقت بلسان حالها مبينة مظهرها وحكمة إيجادها وارتباطها بها ؛ لعجز العقل الكامل عن أن يحيط بما فيها ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره .

خلق الله الأرواح العاليات جواهر نورانية ، وأجساما

روحانية ظاهرة جليلة ، وخلق أسفل سافلين من كثافة ومادة ظلمانية ، ورفع العالم العلوى بصفاء جوهره وطهره من التضاد وسلامته من مقتضيات العناصر ، فهو صفاء بالفطرة ، ونور بالحقيقة ، وهو مقهور لقهار ، مربوب لرب ، فقهره وهو القهار بأن أظهر له بأنه لا فرق بينه وبين أسفل سافلين ، بالنسبة للقهار القادر ، وأنه جل جلاله هو الفاعل المختار لا يستل عما يفعل ، فله المجد والكبرياء والنزاهة والطهر والقداسة ، يقرب ما شاء - لا لأن الذى يقربه يستحق القرب - ويرفع ما شاء - فضلا وإحسانا - .

ولما كان القهار اسما من أسمائه الحسنى - وأسماءه كلها حسنى - قهر العالم الأعلى قهرا هو عين الإحسان إليه ليحفظ الله له مكانته التى بها يدوم قربه من الله ، وتدوم سلامته من البعد والقطيعة واللعن ، فالقهر فى الحقيقة إحسان ، لأن القهار اسم من أسمائه الحسنى ، قال تعالى : « إني جاعل فى الأرض خليفة » (١) وقالت الملائكة الذين هم من أصفى الجواهر - لوقوفهم عند معرفتهم التى نالوها بقدر مكانتهم من مراتب

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

الوجود لا بقدر الإطلاق الرباني : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »^(١) فكانت تلك نزعة من نزوع النفس الملكية التي علمت من نفسها بتلك الخصوصية بالنسبة لمجانستها للطهارة والصفاء من كدورات المادة ولوازمها ، فأثبتت جهلها أمام ربها بعد بيان الحكمة بقولها : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا »^(٢) وقامت الحجة لله تعالى أنه إنما ينفذ ما قدره بحكمه وعلمه بقوله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون »^(٣) .

ثم قهرهم قهرا ثانيا بأن جعل آدم أستاذا لهم ومرشدا ، ليزيدهم علما ، وليلزهم الأدب - مع صفاء جوهرهم للجناب المقدس - فأدم يعنى الإنسان والكنز الجامع لأنواع الجواهر من أعلى عليين لأسفل سافلين ، وقد زاده الله على كل حقائق العالم بقوله : « ونفخْتُ فيه من رُوحى »^(٤) فالإنسان مخلوق باليدين ، ففيه كل الحقائق ، وهى الحجة التى أقامها الله على إبليس فلعه وطرده ، فقهر الله من قهر بالإحسان ، وقهر

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٤) سورة الحجر آية ٢٩ .

من قهر بالانتقام ، وكل الأسماء الإلهية تفيض الخير والإحسان
وتفيض القهر والجلال ، ومن تفضل الله عليه بالإحسان والنعم
فى الدنيا ولم يشكر نعمة الله عليه كانت عليه عذابا ونقمة يوم
القيامة ، فآدم - وهو درة العقد بل وهو من طين لازب -
كمل الله به عوالم عالين ، وطرد الله به أهل الشقاء من النفوس
الشريرة .

والحجر الأسعد رمز للناس كرمز آدم للملائكة ، وكما أمر
الله الملائكة بالسجود لآدم - وهو من طين - ليقهرها ليدوم لها
القرب من الله والحظوة لديه ، أمر الناس بحج البيت ، وأمرنا
رسول الله ﷺ أن نسجد بوجوهنا على الحجر الأسعد ليقهرنا
سبحانه وتعالى حفظا لمكانتنا العبدية ، لتعظيم أمره بالطواف
حول الكعبة ، ولثم الحجر الأسعد - وهو حجر - ومن خالف
الأمر لعن وطرد ، ومن أطاع الأمر رفع ، وهو القهار المحسن
بقهره إلى من سبقت لهم الحسنى ، وهو هو الموفق المعين لمن
أحبه ، والمقدر البعد على من لم تسبق لهم الحسنى ، وله الحجة

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

البالغة على خلقه » لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون»^(١) وفي الإشارة بيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

آدم وحواء وإبليس :

يقول الله تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعه »^(٢) فكيف رفع إبليس إلى الجنة ودخلها ؟ ظن بعضهم أن جنة آدم كانت بستانا في الهند ، وليس الأمر على ما أولوا ، وأن المكان المقدس لا يدخله إلا الطهر حقا ، فكيف دخل إبليس الجنة !!؟ .

هذا مُسَلَّم به ، لأن دخول المكان المقدس على سبيل الكرامة والإقامة مستحيل إلا على أهل هذا المكان ، ولكن الأماكن قد يدخلها الشرط (الجند) للابتلاء ، فإبليس ابتلاه الله وابتلى آدم فدخل الجنة لا للكرامة والإقامة ، ولكن للابتلاء ، وهي جنة الخلد التي فوق السموات .

أما آدم فلم يعلم أنها جنة الخلد ، لأنه لو علم وأكل من الشجرة رغبة في الخلد بدلالة عدوه لكان كافرا لأنه لم يصدق

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٠ .

ربه . ولكن آدم أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها بأمر إبليس وهو لا يعلم أنها جنة الخلد لأنه سمع ربه يقول : « اسكن أنت وزوجك الجنة »^(١) ولو أكل عالما لقال الله تعالى : وكفر . ولكنه قال : « وعصى آدم ربه فغوى »^(٢) والمعصية هنا حقيقة ، وإن جهل من جهل نفسه فتأول ما لا يليق به أن يتأوله ، ويجهلهم ، يقول الله تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى) لأنه خالف وأكل من الشجرة ، وأخبرنا الله في القرآن أنه قال له وإبليس : « اهبطا منها »^(٣) ثم قال : (جميعا) وهم يتأولون قول الله الظاهر .

وقد قدر الله معصية آدم ومعصية إبليس ليظهر كمال إطلاقه في قدره ، وتدارك لطفه بمن سبقت له عنايته ، ليكون للمسلم مندوحة إذا وقع في معصية أن يتوب إليه . وقد علمت الملائكة من قبل أن آدم ليس من أهل الجنة ، ولا تكون له دار إقامة إلا بعد أن يتولى ما أخبر الله به من قوله : « إني جاعل في الأرض

(١) سورة البقرة آية ٣٥ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

(٣) سورة طه آية ١٢٣ .

خليفة»^(١) وتأويل من أول بأن آدم لم يعص سوء أدب مع الله تعالى ، ونظر إلى الحقائق بعين كليله ، لأن الله لعن إبليس وطرده لمعصيته ، وذلك أنه سبحانه علم منه سوء القصد وإرادة الشر ، وعلم من آدم حسن القصد وإرادة الخير وهى العناية التى سبقت له ، فقدر المعصية وتداركه الله باللطف ، فهى معصية جازاه الله عليها بالإهباط إلى الأرض ، ولم يذكر حواء فى ذكر المعصية لأنها تابعة له فى الأكل ، والحكم على أحد المتساوين حكم عليهما .

والشجرة أشار الله إليها بقوله : (هذه الشجرة) ثم أشار إليها عند إتيان معصية آدم بقوله سبحانه : « ألم أنهما عن تلكما الشجرة » فالإشارة الأولى تعين أن الشجرة كانت مشهودة لآدم ، والثانية تعين أنها كانت بعيدة عنه ، لأنه حجب عن شهود تلك الحقائق لارتكابه المعصية .

وما ورد عن بعض أهل المعرفة من أن معصية آدم كانت صورية فهذا مشاهد روحانى ، مأخذه مشاهد التوحيد العالية ، لا يقتضى سوء الأدب مع الشريعة المطهرة . وإذا كنا نتأول

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

أخبار الله الصريحة احتراماً لذى مقام عالٍ فنقول : إن آدم لم يعص ، والله يقول : (وعصى آدم) ويقول : (فغوى) ثم أردف ذلك بقوله : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »^(١) نكون أخطأنا .

والأولى أن نقف عند خبر الله تعالى ، لأن آدم ومن بعده في هذا الجنب العلى العظيم عبید مقهورون ، وعباد مربوبون لم يبلغوا درجة النزاهة والقداسة . والذي قدر المعصية قدر الاصطفاء ، والله يمنحنا الأدب ، ويلهمنا الصواب في القول والعمل .

وقد وهم بعض من اطلع على كلام المؤولين في هذه الآيات ، فظن أن هذا كلام السلف الصالح . والحقيقة أن الحديث الشريف الذى أخذ منه السلف الصالح يقتضى أن سيدنا موسى اعتقدها معصية ، وأن آدم عليه السلام اعترف باعتقاده في صريح حديث البخارى في قوله عليه الصلاة والسلام : (حج آدم موسى) والحديث مشهور ، وإنما تأول بعض العلماء هذه المعصية بأنها صورية لأن الجنة ليست دار

(١) سورة طه آية ١٢٢ .

تكليف . ونعم ، كان الرب العلى المطلق لم يكلف أهل الجنة إذا دخلوها بعد هذه الحياة ، ولكنه سبحانه خلق آدم ليكون خليفة في الأرض ، وأدخله الجنة لحكيم لا تحصى منها :

أنه يريه نعيمها ومسراتها قبل إقامته خليفة في الأرض ليستد شوقه إليها ، وليسارع إلى ما يوصله إليها من دوام المجاهدة لنفسه وحظه وهواه ، رعاية لحقوق الله تعالى وحقوق نفسه وحقوق العباد ، فأسكنه الجنة ليتليه بهذا المشهد ، ثم ابتلاه بإبليس ليوقه في المعصية ، ليتوب عليه سبحانه ، حتى لا يحصل له اليأس والقنوط إذا عصى الله في دار الابتلاء ، فيقبل على الله تائباً موقناً بالقبول .

تقرر من هذا أن آدم لم يدخل الجنة للكرامة والإقامة ، ولكنه دخل الحكمة بالغية بينت لك بعضها ، وإذا منحك الله وجود الشهود ألهمت أسرار هذا الإسكان في الجنة وغيب هذا الابتلاء ، وتراه في نفسك إذا بلغت مقام الرضا إن شاء الله تعالى ، وعلمت خلق إبليس ، وسر تسليطه على الإنسان ، وغريب تصريحه ، وقدرته على أن يشاركهم في الأموال والأولاد ، وسر بقائه لليوم المعلوم .

وفي تلك الحقائق من الأسرار ما يقف عندها العقل خاسئاً
وحسيراً ، والتسليم سلامة ، والذوق عناية .

مضنون في آدم :

أجلى فيك ما به التعريف لو فقئت ، ومنحك نوراً به
التعرف لو علمت ، كما منحك أن تراه فيك وفي الآفاق ، بما
اقتضته أسماؤه من الأخلاق ، فكنت مظهراً لظهوره ، أمرك
لتظهر مقتضى حكمة إبداعك ، وهي ظهور عبوديتك ،
ووقوفك لتكون خليفة عنه في الملك الصغير ، وسيداً وجيهاً
متصرفاً في الملك الكبير ، فأظهر صفاتك للعالم بك فيك ،
وأعد لك فيك وفي الآفاق من المشاهد للعلية مالا تبلغ ذوقه
الكروبيون وأن تدرك منه سبحانه ما ذقته فيك وفي الآفاق ،
وما فوق ذلك من الكمال مما تذوقه في شيء من غيره فذلك ما
لا تدرك ، لأنك لم تذقه ، والذوق فوق العلم .

ولن يدركه أحد من العالمين ، فإننا إنما ندرك منه سبحانه
ما هو فينا مما لم ينله أحد من العالمين سوانا . والسعادة والشرف
الذي حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا ، وما ليس لنا ذاتيا
يقتضى الشكر ، ومن جهل فغره أنه مخلوق باليد ، وأنه
مظهر وظهور لتظهر صفات الربوبية ، ونسى أنه مظهر أيضاً

لظهور صفات العبودية حرم ذلك الملك الكبير ، ورد إلى أسفل سافلين السعير .

فتفضله بالإيجاد موجب لشكره ، وإحسانه إلينا بخلقه لنا بيديه ، ونفخه فينا من روحه ، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه موجب لعبادته ، ودوام الرهبة منه والخشية .

الملك الكبير المعبر عنه بالجنة :

الجنة معلومة لغة وشرعاً ، بينها القرآن المجيد ، ولا خلاف بين المسلمين في الجنة ، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم في أنها هل هي موجودة وأين مكانها ؟ وهذا الخلاف مردود على أهله ، لأن القرآن أثبت وجودها ، وأثبت أنها في عليين وأن النار في سجين ، بدليل : « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين »^(١) ثم قال : (إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون)^(٢) وقال سبحانه : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين)^(٣) ثم قال : (وإن الفجار لفي جحيم)^(٤) وقد عينت

١ (١) سورة المطففين آية ١٨ .

٢ (٢) سورة المطففين آية ٢٢ - ٢٣ .

٣ (٣) سورة المطففين آية ٧ .

٤ (٤) سورة الانقطار آية ١٤ .

السنة مكان الجنة في حديث الإسراء والمعراج ، وقد قال تعالى : (ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)^(١) .

والجنة جنتان ، قال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان)^(٢) والجنتان : عاجلة وهي لأهل مقام الإحسان ، وآجلة وهي لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام : فالجنة العاجلة هي جنة الرضا عن الله تعالى ، وهي جنة الشهداء وطمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون ، والكون كله جنة لأهل الرضا ، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق لأنهم عند ربهم ، قال تعالى : « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم »^(٣) وقال : (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم)^(٤) .

وما تقول أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة في قوم عند ربهم لهم ما يشاءون ؟! أو تقول في قوم أعانهم الله تعالى ، فجاهدوا

(١) سورة النجم آية ١٣ - ١٥ .

(٢) سورة الرحمن آية ٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٦٩ .

(٤) سورة الشعراء آية ٦٣ .

فهداهم سبله فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله) (١) ؟! فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم الملك الكبير ، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم .

فالجنة العاجلة : جنة الأرواح التي تجردت من مقتضيات عناصرها ففرت إلى الله بمجاذبة عنايته ، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة فكانت الدنيا سجناً لهم - وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف في الكون - لأنهم تحت سلطان الشريعة في تصرفاتهم .

ألقِ أذن روحك :

الجنة تستر من دخلها فلا يرى ما هو خارجها ولا يراه من هو خارجها ، وهي سر الأخذة الحقية قبل الاصطناع ، ومن أخذ الله عنده ضمن به على خلقه فكان من ضنائن الله تعالى ، فلا يرى إلا الوجه حيث ولى وجهه ، ولا يراه أحد .

يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى ، وهم أهل الجنة العاجلة ، وهؤلاء لا يحتاجون إلى جنة آجلة ، وفي بعض الآثار

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

أنهم يفرون من الجنة ويقولون : تركناها أحوج مانكون إليها في الدنيا ، فكيف نطلبها ونحن في غنى بالمحسوب عنها ؟!! .

الجنة ظهور ظل معاني الصفات مستغرقة لكل المرأة ، والمأخوذ اقتطعه الله في وجود شهوده ، وستر شهود وجوده ، وهؤلاء كثير في كل قرن ، فمنهم الهائم على وجهه في القفار ، ومنهم المستتر عن الخلق بالملامية^(١) والابتذال^(٢) ، ومنهم الغائب عن الملك سياحة في الملكوت ، ومنهم العاكف بقلبه على ربه معزلاً الناس بعد فقد خياله ووهمه ، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذى خيال أو وهم ، وليس خرقه الملامية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية . ومنهم الخمور الذى لا يفيق ، ومنهم ، ومنهم ، وقد فصلت مجمل هذا فيما سبق من الكتب ، وكل هؤلاء في الجنة ، يعنى في الستر .

وفوق ذلك جنة : خذ بأذن السر ، أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة ، هم جنة عالية ،

(١) الملامية صفة لقوم من الصوفية يلومهم الغير على كل ما يفعلونه ، وتلومهم أنفسهم إذا أخطأوا أو إذا فعلوا الخير ناقصاً غير كامل ، والنفس اللوامة جزء لا يتجزأ من تكوينهم .

(٢) الابتذال : عدم صيانة الثوب .

وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده ، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور ، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحذية ، أو رذاذ غيث الواحدية ، أو نور زيت المشكاة المحمدي ، قال سبحانه : « هم درجات عند الله »^(١) وهناك جنة أعلى لاتفى بها الإشارة ولا تبينها العبارة ، وهى تؤخذ بشذرات ييوح بها أهل الاتحاد^(٢) فى مقام القهر الوجودى بعد الجذب الفنائى ، قال تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »^(٣) .

جنة آدم :

بينت لك أنواع الجنان ، والجنة الآجلة ثمان درجات ومفاتيحها جوارحك المجترحة : القلب وجنوده ، ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلق كماله ورد ، أدخله فى الجنة التى فيها مسرات الحس ونعيم الجسم ، وغذاء الروح من

(١) سورة آل عمران آية ١٦٣ .

(٢) الاتحاد : أن تشهد الوجود لله الواحد الأحد أى أنك ترى كل شئ بالحق موجود ومعدوم بنفسه لا من حيث أن لك وجوداً خاصاً اتحد بالحق لأن هذا محال .

الحكمة ، ومحبة الله تعالى ، ليشتاقي إليها بعد رده - وتلك الجنة هي طبقة من الفردوس - بدليل قوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين »^(١) ، وبدليل : « فأكلوا منها فبدت لها سوءاتهما »^(٢) ، ومعلوم أن الجنة لاتقع فيها المعصية ، فقدّر الله المعصية على آدم في الجنة ليرده عنها عدلاً ، بعد أن أدخله فضلاً ، وليعلم أنه أخرجه منها بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه في الدنيا ؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية .

وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده في جنة عدنه ، فالإنسان شجرة ربه ، وهو السدرة التي رأسها مغروس في العرش وأطرافها مدلاة على الجنة ، وتلك الشجرة التي هي صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذي يجب أن يحفظ لزارعها سبحانه ، فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه ، عصي وغوى لحكمة بينت لك بعضها ، فرد إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب ولتتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معاني صفات ربه ، وحقيقة هي مظهر لظهور

(١) سورة التين آية ٥ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

صفات نفسه وهى العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن من حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته فى آدم فنسى آدم ونسب لنفسه ما ليس له فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله ، والله غالب على أمره ، قال سبحانه : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)^(١) وإن ما أكل آدم ما فيه من أمانه باريه ، منحنا الله الذوق ، وجعلنا بالشوق ، وحفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء .

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

الفصل الثانی من المصنّون فی علوم الیقین

القرآن: (۱)

القرآن المجید مورد آل العزائم الروی ، وروضهم الجنی
وحوضهم المورد ، وکوترهم المشهود ، ومیزان أحوالهم ،
ومرجع مقاماتهم ، یسألونه قبل العمل ، فإن أذن سارعوا ،
وإن منع ترکوا واستغفروا ، فهو الإمام الناطق وإن صمت ،
لأنهم یسمعون عن رسول الله صلى الله علیه وسلم فتسمعه
آذان قلوبهم حضوراً ووجوداً ، وإن کان التالی له إنساناً آخر .
وقفت بهم همتهم العلیة علی القرآن فأحلوا حلاله وحرّموا
حرامه ، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوا ، أو مفارقة أموالهم
وأولادهم لفارقوها فرحین بالسمع والطاعة ، تجلت لهم حقائق
القرآن جلیة ، وانبجلت لهم أنواره العلیة ظاهرة ، فلم تبق بهم
همة إلا فی القرآن ، ولا رغبة إلا فیه .

أحبوا القرآن حبا ینبئ عن کمال حبهم للمتکلم سبحانه ،

(۱) راجع کتاب (شراب الأرواح) ص ۲۶ .

كاشفهم الله تعالى بمراده في كلامه ، وبمحكمته في أحكامه ، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم ، وتجلي لهم سبحانه في كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا ؟ يقول : أمرني القرآن ، ولم تترك هذا ؟ يقول : نهاني القرآن ، وإذا طلب منه أمر يقول : مه حتى أستشير القرآن ، فيقرأ القرآن المرة والمرة ، حتى تتضح له حقيقة حاله ، وسر قصده ، فيسارع إلى التنفيذ أو إلى الترك .

فالقرآن ظهور الحب ، وحلل القرب ، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية ، واقتطعته المشيئة ، واختطفته محبة الله السابقة له .

واعلم أنه لا يجد فهم القرآن عبد فيه أدنى بدعة ، أو مصر على ذنب ، أو في قلبه كبر ، أو مقارف لهوى قد استكن في قلبه ، أو محب للدنيا ، أو عبد غير متحقق بالإيمان ، ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه ، ولا ناظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر ، ولا راجع إلى معقوله . فهؤلاء كلهم محبوبون بعقولهم ، مردودون إلى ما يقرر في علومهم ، موقوفون مع ما تقرر في عقولهم .

أما العبد الذي يجد حلاوة القرآن ، ويكشف بمشاهدته

فهو من قرأ ملقيا السمع بين يدي سميعة ، مصغيا إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفات شهيدته ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً لمعقوله ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظماً للمتكلم ، واقفاً على حدوده ، مفتقراً إلى الفهم بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وصفاء يقين ، وقوة علم وتمكين ، سمع فصل الخطاب ، وشهد علم غيب الجواب .

قبس من المضمون في القرآن :

رتل القرآن في الاتحاد ، وأتل كتاب ربك في الاصطناع واصغ بأذن روحك لقراءة القرآن من منزله ، ثم اتبع قرآنه ترتيلاً ولا تعجل ، فإنك في مقام بقاء بعد الفناء ، فالترتيل للقرآن شهود معانى صفات المتكلم في كلامه ، وانبلاج أنوار حقائق الغيب المصون من الأسماء والصفات ، والغيب المضمون من مجلى الذات . وإنما يرتل القرآن ويتلو الكتاب ويقرأ القرآن السامع له من المتكلم سبحانه .

فالقرآن : إشارة إلى الكمال الذاتى ، وسورة الإخلاص ثلث القرآن ، وآية الكرسي ربع القرآن ، لبيانها للغيب المصون . والكتاب المرتل : أحكام وحكم . والذكر : أخبار وعبر . والنور : تبيان للوصول . والفرقان : بيان للحجة ،

واتضح للمحجة . وإنما يرتل القرآن من منح العيان بعد
البيان .

الأمانة :

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ؟ غيب مكنون عن الروح به
مضنون ، أشفقت السموات والأرض أن يحملنه خوفاً من
التكليف ، وقد فازت بالتعريف ، وخشية من الظهور في
البطون ، ومن البطون في الظهور .

الأمانة : هو ما حملته أمانة لديك ، ليس منك ولا فيك ،
ولكنه منه جل جلاله ، والذي يصل إليه يفوز بالخطوة لديه ،
ولأجله أمرت بالرياضات ، وكلفت بالمجاهدات ، ليحصل لك
التوجه الذي به تواجه .

إذا أمكنك أن تدفع الواردات عن القلب بذكر اللسان في
منزلة الإنسان ، وأممكنك أن تذكر بالقلب مع إمساك اللسان ،
وأمكنك أن تذكر بالقلب واللسان حضوراً وغياباً ، لديها
يظهر لك خافيك ، وتقع العين على العين بلا بين .

أحب ما فيك منه ، فهو المحبوب جل جلاله له لا أنت .
وأحبه بما فيك منه ، إذا تجردت من مقتضيات عناصرك .

بالأمانة كلفت وعرفت ، وهى الثواب والعقاب ، إذا راق
الشراب ، وكشف الحجاب عن بديع جمال الجناب .

محل الأمانة هو القلب الذى هو عرش الرحمن - لا الشكل
الصنوبرى - المقلب فى الأكوان . حملها الإنسان فكان ظلوما
جهولا حتى يحملها ، فيكون محمولا لا حاملاً ، وإشراقا
لا مشرقا ، يصفو اللطيف من الكثيف ، ويحمل اللطيف بنوره
هذا الكثيف ، فيكون الإنسان الكامل - وهو فى سافل
المكان - فى أعلى مكان .

يرى بما فيه من الأمانة وجه الله حيث لى ، ويلحظ بسره
غيب القدس الأعلى حيث صلى . إذا لمع وميضها أخفى السور
والرسم ، ومحا الوسم ، وألبس المحمول تاج الخلافة عن ربه ،
وساح فى ملكوته الأعلى فأشرف على قدس عزته وجبروته .
الأمانة وما أدراك ما الأمانة ؟ نور معانى الصفات فى مرآة
صقلت بالمواجهة ، وجملت بالمنازلة ، فظهر الغيب المصون ،
وخفى المشهود بالعيون .

بالأمانة القرب والحب ، إذا وفى فصفا حاملها . والوفا
الاتباع مجاهدة ، والصفاء الاصطلام مواجهة ، وهما واحد وإن

كانا اثنين ، إذا زال الرين وأشرقت أنوار العين على العين ،
وانكشفت حقائق الأشياء بحقيقة الاستجلاء .

هي الأمانة أوصاف وأخلاق بها الحنين إذا ما لاح إشراق
إشراقها حضرة المحبوب يُظهرها فيشهد الغيب أفراد وعشاق
هي الأمانة فوق العالمين علا يُجلي غوامضها في القرب تخلق
الروح ظل لها تُبدى محاسنها بها يصح الصفا والوصل إغراق
أنوارها أصعقت أهل الصفا جذبت

أهل الفنا ولهم في الحب إشفاق
قد أسجدت لأبي الإنسان عالمة
غيب فلم تَرها روح وأحداق

العلم :

العلم الإلهي مبدؤه رعاية ما حصلته من العلوم ، ووسطه
شهود الأشياء قامت بالحي القيوم ، حتى تشرق أنوار وجه الله
فتحجب كون العارف حتى يراه . ونهايته إشراق نور الحكمة
جلية مستبينة بها حقيقة الأشياء ، فيكون العبد عبداً مقهوراً
بقهار ، مربوباً لرب غفار ، مشاهداً لأنوار قوله تعالى :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »^(١) وهذه مراتب العلم الإلهي ، ثم الذوق ، فالكشف ، فالشهود ، فالفناء عنه ، ثم الفناء عن الفناء ، ولديها يكون العبد ربانيا يسمع بالله ويصير بالله .

المتمكن يتلقى من الرب بالقلب ، لأن التمكين نور الله الذي يجعله في قلوب أهل محبته ، وهذا القلب هو النور الذي تستبين به الحقائق سر قوله ﷺ : « واجعلني كلي نورا » .

ولما كان هذا القلب متعلقا بالملا الأعلى ، فإن كل ما يرد عليه بين وارد ملكوتي أو وارد رحماني ، وقلبه هو الحاكم عليه حتى ولو خالف حكمه حكم الوقت (استفت قلبك ولو أفتاك وأفتوك المفتون) .

بين العلم والرعاية كما بين الغذاء ومستعمله فقد يوجد العلم وليس محله قابلا ، وقد يوجد القابل ولا علم ، ومتى وجد العلم والقابل كان محله عالما ، وهو صفة الله تعالى ، وما أظل القدس بظله عبداً إلا وأخفاه عن نار بشريته ، وشرار إبليسيته ، وبرد جماديته ، ومقتضى نباتيته ، إلا ما لا بد منه مما به حفظ الرتبة العبدية الحقبة أمام مكانة الرب (ولمن خاف

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

مقام ربه جنتان^(١) ومن كان في الجنة لا تميل به الشؤون مهما اقتضاها مكانه الحيواني أو مقامه الإنساني ، لا اختطافه بيد العناية مع انغماسه في كل ذلك ، ونظره إلى الأسباب موجبة قائمة بعيني رأسه ، واختفائها عن عيون بصيرته بسطوع أنوار المسبب جل جلاله ، هذا في حضرة القلب .

وإذا كان القلب برزخاً بين الروح والفؤاد كان الإنسان مشكاة تلك الأنوار مثلاً ، وحقيقتها نيابة ، ونورها فيضاً قدسياً للعالم أجمع ، وهو في نظره صلصال من طين ، أو ماء مهين ، لا يراه من رآه إلا إذا سمع خبره وذكره ممن رآه حقاً .

العالم :

العالم ثلاثة :

- ١ - رباني تكشف له حكم الأحكام .
 - ٢ - ونوراني تكشف له معاني الأسماء والصفات .
 - ٣ - وذاتي مؤله محقوق دون فناء كإلان الذات .
- فالرباني بين الحكمة عن غيانها ، والنوراني بين أسرار التجلي

(١) سورة الرحمن آية ٤٦ .

عن عيانها ، والذاتي يحرق القلوب بالشوق إلى الله عن غيب مصون لا يلحظ .

لهذا أشهد خير رسله عن عيان ، قال تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم)^(١) عند شهادته للخلق ، وكذلك : (سبحان الذي أسرى بعبده)^(٢) ليكون ما يخبر به عباد الله خيراً عن عيان . وورثة رسل الله ، ما كان حق يقين للرسول هو عين يقين لهم ، وما كان عين يقين للرسول علم يقين لهم ، وما كان علم يقين للرسول ﷺ تسليماً منهم له وإيماناً بالغيب .

الإيمان^(١) :

يقين عن تسليم يياشر القلب فيتسع له تجويفه حتى يمتلىء اعتقاداً بما ورد به القرآن الكريم وقررت السنة المحمدية من عقائد تزيل الشرك والشك ، ويطمئن به طمأنينة تبعث من كمال يقينه انشراحاً يعم كل الأعضاء ، فيكون المؤمن على بينة

(١) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٢) سورة الإسراء آية ١ .

(١) انظر (شراب الأرواح) ص ٧٧ (ومعارج المقربين) الفصل الثاني من الباب الثالث .

من ربه ، ويقوى هذا الانسراح بقوة الإيمان ، فتلين جميع الأعضاء للقيام - بحسب الاستطاعة عن توفيق الموفق سبحانه - بجميع الأوامر الشرعية بسرور ولذة وحبور ، لا يشوب ذلك مهل ولا تهاون . وعلامة الإيمان اشتغال العبد بعبود نفسه ، ودوام مراقبتها فى سرها وعلنها ، حتى لا يهم إلا بما هو لله سبحانه خالصا .

متى ارتسمت صورة الإيمان بمعانى المؤمن به على جوهر النفس حصل اليقين بلا لبس ، وليس بعد العيان بيان ، ومن رسم صور حظوظه وشهواته على جوهر نفسه تسلى بما يفنى وأنس بما يزول ، وحصلت له الوحشة من الحق ، والأنس بالخلق ، ولديها يكشف الله ستره عنه فيغضه الحق والخلق .

لا إيمان إلا بعد الانتشال من وحلة التوحيد وبادية الإلحاد .
المؤمن لا يغيب عنه رسول الله ﷺ إن لم يكن عيانا فبيانا .
إذا باشر نور الإيمان سويداء القلب اطمأن القلب إليه ، لأنه تهش إليه النفس وتبش .

أهل القلوب فى شغل بعلام الغيوب عن العيوب ، فكيف يشتغلون بالجيوب !!؟

المؤمن العبد مرآة المؤمن الحق .

علم الإيمان ينتج شهود الملكوت ، وعلم الإيقان يشرف
بصاحبه على قدس العزة والجبروت .

للطيفِ الخبيرِ أرفعُ أمرى
وبه في الوجودِ يرفعُ قدرى
كيف رَجُو عبد من العبدِ عوناً
والكريمُ الحليمُ عَوْنِي وذُخْرِي
وَيَقِينِي باللهِ أضحى قويا
بفؤادي وظاهري وبسرى

بين مشاهد أهل الإيمان ومشاهد أهل اليقين الحق ، كما بين
الكادح في الكون والمؤانس بالمكُون ، فأهل الإيمان لهم السياحة
في ملكوته ، وأهل اليقين لهم الإشراف على قدس عزته
وجبروته ، قرب منهم بنعموته ، وقربهم إليه بما جملهم به من
كمال العبودية لعزته وجبروته .

والعبودة فوق الرسالة قدرا ، فإن العبد مقبل بالكلية على
الرب ، والرسول مقبل بالكلية على الخلق ولذلك فإنك تقول :
(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) فتبدأ
بالعبودة قبل الرسالة لشرفها ومكانتها العلية ، وإنما أعنى
بالعبودة عبودة الرسل لا عبودة الأولياء والأنبياء ، وكذلك

العبودية في مقام الولاية فوق الدعوة إلى الله سر قوله سبحانه :
« سبحانه الذي أسرى بعبده » (١) .

التوحيد (٢) :

التوحيد ثلاثة أنواع :

أولاً : توحيد الله .

ثانياً : توحيد الناس بالله .

ثالثاً : توحيد الناس الله بأنفسهم ، وهذا هو الشرك
الخفي .

التوحيد محو غير الواحد مع قيام الثاني بالقيومية ، مسارعاً
إلى ما يحبه الواحد ، وإن حرم الثاني ما يحبه .

التوحيد أوله تسليم ، ووسطه اتحاد بالعلم ، وآخره قيام
بالقيومية على النهج القويم .

مشهد التوحيد خفي على أهل العقول ، ونوره جلي لأهل
الوصول ، وليس من ارتاب بأدلة العقول أهلاً لأن يذوق

(١) سورة الإسراء آية ١ .

(٢) انظر (دستور آداب السلوك) الباب الرابع للإمام المجدد أبي العزائم .

حلاوة التوحيد ، ولا من بحث عن الواحد بالدليل ، محلا
لشهود جمال الجميل ، قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما »^(١) .

لا يبلغ السالك مرتبة الوفا إلا بكمال التسليم ، فكيف ينال
مقام الصفا وهو يرغب في دار النعيم !!؟
منازعة العقول لكوكب الإيمان أقول ، ونزوع النفوس بُعد
عن حضرة القدوس .

السكر في التوحيد نجاة ، والصحو مع كشف علوم
التوحيد هلاك . وقد نجا بهلول وأبو يزيد مع استغراقهما
بسكرهما ، وإنما أضر الحلاج صحوه ، فاحفظ الأدب في الصحو
واحذر أن تبين كل البيان ، فإن ذلك حرمان ، وكشف سر
إلربوبية كفر ، فإذا اختطفك منك فقطعك له فكن كيف
شئت ، وإياك والتقليد .

شتان بين من يعامل الله بالعبودية ، وبين من يعرف الله
بالوحدانية .

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

من شهد بعين الأزلية محا الأبدية فشهد الواحد .
من نظر إلى القدرة وغفل عن الحكمة فلم ير عبدا فهو
غاو .

ومن نظر إلى الحكمة وغفل عن القدرة ولم يذق حلاوة
التوحيد ، فهو مشرك .

الغيب عنك فيك ، رفر فراقك . والغيب عنك في
الآفاق براق الالتحاق . والغيب عنك فيه نور الاتحاد
والانتشال من وحلة البعاد ، وإن ما تشهده عيونه المفاضة من
قدسه إذا ظللك بظلال قدسه .

ما بينك وبين الكمال الذى تكون فيه ليس لك رب إلا الله
إلا أن تنظر نظرة فى نفسك وفيما حولك ، أو تسوح بنفسك
الطاهرة فى ملكوت السموات والأرض ، وهى لمحة بها تقع
الصلحة ، فكيف تبخل على نفسك بما به دوام أنسك ١٩ .

ليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها
الحقائق ، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات .

ليس بين أن تراك وبين أن ترى وجه ربك محيطاً بك إلا
تنزل بالرعاية ، أو حضور بالفكرة ، أو نظرة بالعبرة ، لتعرف
من أنت ، فإذا تحققت بمعرفة من أنت تجلب لك آياته فيك وفى

الآفاق ، فجذبك إلى طهور الشراب ، فسكرت ، فطبت ،
فغبت عنك به فكنت له حقا ، قال تعالى : « وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئا »^(١) وكان لك شهودا ، وبالتنزيه معك ،
قال تعالى : « الله وليّ الذين آمنوا »^(٢) وقال : « فقل حسبى
الله »^(٣) وقال تعالى ناطقا على ألسنة أوليائه : « وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل »^(٤) فهو وليك ووكيلك وحسبك ، فمن إذا
لك غيره ؟ .

النفس (١) :

هى اللطيفة النورانية ، الجوهرية الربانية ، والحقيقة التى لا
تدرك بحس ولا عقل ، بل ولا لها إلا بخواصها . وإنما ترى
وتعلم بقدر الرأى والعالم بها لا بقدرها ، والعجز عن إدراكها
بحقيقتها وكنهها وهويتها برهان ناصع على عجز أكمل كائن عن
إدراك ساطعة نور من أنوار الأسماء ، فكيف تدرك الهوية فى

(١) سورة مريم آية ٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

(١) انظر (شراب الأرواح) و (معارج المقربين) فى : الأصل الأول للوصول إلى
الله .

غيب غيبها ، وظلمة عمائها؟؟ ومن عرف نفسه عرف ربه ،
وفوق ذلك من الأسرار الخفية ما لا يشار إليه ، ولا يباح
بالعبارة ، إذ نهاية العبارة علم التوحيد وعلم ما في المادة من
الخواص والآيات ، فالإشارة بعد ذلك ، فالإمسك للعجز عن
البيان بأى طريق من طرقه ، وإنما هى مواجهات تصحبها
ملاطفات ، وموانسات تصحبها منازل فوق الأرواح ، إلا
إذا اختطفها الفتاح ، وهناك خواص النفخة القدسية ، وهى
عن كل كائن عليّة .

النفوس المعروفة سبعة أنواع : جمادية ، فنباتية ، فحيوانية
فإبليسية ، فملكوتية ، فقدسية ، فالنفس الكلية .

ولكل نوع مقاصد وأحكام ، ومشاهد وملاذ وآلام ،
ولكل نفس منها حكمة . والكامل فى الحقيقة من تفضل الله
عليه بالعلم بما لكل نفس ، وأعانه على القيام به ، حتى يتمتع
بجمال الله فى كل كائن بحسب كل نفس . ومن فاته شهود آياته
فى كل كائن ، فاته من معرفة الله بقدر ما جهل ، قال تعالى :
(وتؤمنون بالكتاب كله)^(١) وليس بقدوة من قهرت نفس

(١) سورة آل عمران آية ١١٩

من النفوس عنده بقية الأنفس فجعلتها عاطلة ، وإن أنس
بمشهد على .

عقل وحس ونفس :

العقل له دائرة اختصاصية لا يتعدها . كما أن الحس
كذلك ، والحس إذا أدرك مدركا لا يلبث حتى يغيب ، فإذا
غاب زال ما لم يكن المدرك قويا في التأثير فإنه يبقى زمناً ،
والعقل إذا أدرك شيئاً بقي فيه . وهناك قوة تدرك ما وراء
المادة ، فالحس يدرك المحسوسات ، والعقل يدرك الخواص في
الكائنات ، أما معاني ما فوق المادة فتدركها النفس « الروح
الملكية » وهى التى تؤمن بالغيب ولو لم يساعدها العقل ،
وهى موجودة فى الهيكل بلا اتصال ولا انفصال .

إذا غلبت النفس البشرية صار الإنسان شيطانا ، وإذا غلبت
الملكية صار الإنسان خليفة عن ربه .

لا تعجب إذا صارت النفس الملكية محجوبة عن عالمها فإنه
تذل لأظلم سلطان ، وهى مسخرة للإنسان ، فقد يستعمل ما
يوصل إلى الله للإفساد فى الأرض ، وهو العلم بأحكام الله
تعالى .

جبلت النفوس على حب مُشاكلها مبنى ومضادها معنى ،
 فهي تميل إلى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب
 الجمالى ، وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها
 بأحاديث ما فيها من الجمال الذى ليس فى الآخر ، فترى الغنى
 يميل إلى الفقير ، والعالم يميل إلى الجاهل ، وهى صبغة الله التى
 صبغ بها الإنسان ، فإن الله يحب من عباده من جملة بضد
 صفاته ، وهو التواضع والذل والتسليم .

تركية النفوس :

قال سبحانه وتعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها
 وتقواها قد أفلح من زكاها)^(١) طالبنا سبحانه بأن نزكى
 أنفسنا فيما منحنا التمكن منه بحسب ما بين لنا فى كتابه
 سبحانه ، وفى سنن نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وهو
 المكلف والمعرف سبحانه ، والهادى المعين جل جلاله ، ففى
 قوله : (من زكاها) تجب رعاية توفيقه وهدايته وعنايته ، فلنا
 منه ما به تزكو نفوسنا ، وعلينا السمع والطاعة لأمره ،
 والمصارعة إلى القيام بأحكامه ، مع رعاية مشاهد التوحيد

(١) سورة الشمس آية ٧ - ٩ .

وحقوق العبادة ، فهذا التكليف شاق للسالك ، وسهل
ميسور للواصل ، وأنس في رياضة النفس وجهادها للمتمكن .

فالسالك مكلف مجهود ، وعامل مكثود . والواصل
متقرب إلى الله بتوفيقه ، فرح بفضل الله عليه ، ورحمته به .
والمتمكن أنس في مقام الإحسان بالمحسن ، مبهج بالإحسان .

وهنا أفهمك أيها الأخ السالك إلى الله ، أن المراد - والله
أعلم - في قوله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم)^(١) لا تحكموا لها
بالكمال الذى ينسيكم فطرها ، فتملوا جهادها ، فإن تزكية
النفوس تلزم رعايتها لأهل المراتب العالية مهما بلغوا من
الكمالات ، فإن العبد عبد وإن علا ، والرب رب وإن تنزل .

وتزكية النفس هى تطهيرها من كثافة الجمادية ، ووقوف
النباتية ، ورعونات الحيوانية ، وسعير الإبلية ، وتشبيه
الملكية . فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى : (وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) أى :
أشهدكم من غيب القدرة وأسرار الحكمة ، وجلى أنوار

(١) سورة النجم آية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

القيومية ، وما أطلعكم عليه من أسرار الإيجاد والإمداد ، وما واجهكم به من لوازم أنوار التجلي وسواطع أسرار التوحيد في مقام التفريد^(١) من غيب (واحد) وغوامض غيوب التنزيه في غيب غيب (أحد) ، فإن البشرية لاتفارق إنسانا ما كيف كان ، وأين كان ، حتى يفارق تلك الحياة الدنيا إلى الحياة الروحانية معنى قوله ﷺ : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وقله سبحانه : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان)^(٢) وقوله سبحانه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »^(٣) .

إذا زكت النفس من اللبس ، ونظرت بعين القدس ووجهت بالوجه العلى على بساط الأنس ، قال تعالى : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)^(٤) .

هِيَ الرُّوحُ تَصْفُو تَشْهَدُ الْأَنْوَارَ
يُلَوِّحُ لَهَا الْحَقُّ الْعَلِيُّ جَهَاراً

(١) التفريد : وقوفك بالحق معك وهو اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم بالحق ثم عن الحق .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

(٣) سورة يونس آية ٢٦ .

(٤) سورة الواقعة آية ٨٥ .

هِيَ الرُّوحُ جَرَّدَهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعِنَ
 هِيَ النَّفْسُ تَزْكُو تَبْلُغُ الْآمَالَ
 هُوَ الْعَقْلُ يَصْنَفُو يُنْخِجُ الْأَسْرَارَا
 هِيَ الرُّوحُ تُجَلِّي لِلْمُرَادِ إِذَا صَفَا
 تُفَيِّضُ عَلَيْهِ خَيْرَهَا مِدْرَارَا
 فَجَرَّدَ مِنَ الرَّسْمِ الدِّنْيِ جَمَاهَا
 وَفِيهَا اتَّحَدَ تَشْهَدُ ضِيَاءُ أَقْدَارَا
 تَرَى الْعَالَمَ الْأَعْلَى شُهُودًا مُؤَيَّدَا
 تَكُونُ كَنُورِ الشَّمْسِ لَآخَ نَهَارَا
 هِيَ الرُّوحُ شَمْسٌ أَشْرَقَتْ فِي مَطَاهِرِ
 الْأَحْتِ لَنَا الْوَهَابِ وَالْغَفَارَا
 إِذَا أَشْرَقَتْ فِي الرَّسْمِ أَخِيَّتْ مَعَالِمَا
 وَأُخْصِفَتْ ظِلَالُ الظُّلُمِ فَلَاثَارَا
 هِيَ الرُّوحُ طَهَّرَهَا مِنَ اللَّبْسِ وَالْحَنَا
 فَإِنَّ قَوِيَمَ الْعَقْلِ فِيهَا احْتَارَا
 تَجَرَّدَ مِنَ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْحِظِّ وَالْجَفَا
 وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ جَهَارَا
 هِيَ الرُّوحُ جَرَّدَهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعَا
 إِلَى الْحَقِّ مُضْطَرَا إِلَيْهِ فِرَارَا

تَمَسَّكَ بِأَثَارِ الْأُثْمَةِ جَاهِدَنَّ
تَرَّ مُنْعِمًا بَرًّا قَوِيًّا وَقَهَّارًا

إنما تزكو النفس بحب عن شهود ، أو بوجد عن علم ، أو بضرورة داعية . ومتى زكت النفس أكسبت الجسم ميلاً إلى الوجهة التي بها تزكيتها : قال تعالى : « قد أفلح من تزكى »^(١) .

من لم يتتبع مواضع الضعف من نفسه ، فيقويها عاش في شقاء .

كمل نفسك بغيرك ، ولا تكمل غيرك بنفسك ، فإنما جعل الغير لتكمل به حتى تصل إلى العين . ومن كمل غيره بنفسه كان كالسراج يضيء لغيره ، ومن كمل نفسه بغيره كان كالشجرة الطيبة تتكمل بكل ما حولها ، ومتى كملت نفعت غيرها .

زك نفسك قبل السماع ، لتشرق عليك أنوار المعرفة ، فإن النفس كالبدن إن لم يكن قويا كلما غذيته ازداد مرضاً .

(١) سورة الأعلى آية ١٤ .

بالحال تزكية النفوس ، لا بالفلوس والدروس ، قال سبحانه وتعالى : « قد أفلح من زكاها » (١) .

إذا زكت النفس بالتوجه والأنس ، رأت الغيب ، وظهرت الآيات جليلة في الكائنات ، وأسبغت على المشاهد المحبوب الهبات .

إذا سطعت أنوار الروح على النفس الزكية ، منحت العيشة الرضية في مقام القرب من الرب ، والأنس بشهود جماله ، جذبا لنيل وصاله .

الحياة :

الحياة الروحانية تظهر بالحال والمقال ، والحياة الجسمية تظهر بالخط والشهوة ، فمتى قامت الحجة على أن الإنسان في حياة روحانية فلا تؤاخذ به سيئاته ، قال الله تعالى : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعَدَ الصديق الذي كانوا يُوعَدون » (٢) وإذا ظهرت الحياة الجسمية في إنسان فلا تعباً بحسناته ، قال

(١) سورة الشمس آية ٩ .

(٢) سورة الأحقاف آية ١٦ .

تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » (١) .

والحياة القدسية تظهر بالإشارات في أخفى الخفا من أنوار مجلى الذات ، ومتى شهدت في رجل تلك الحياة فصف له قلبك وأمسك عنه لسانك - وإن أنكرت أحواله وأعماله بحسب مقامك (فإن الجاهل به مقام عودته) وإن لم تستطع أن تسلم له فاجتنبه ، فإن من حرم الذوق والتسليم ربما وقع في الاعتراض ، فأصبح غير راض عن الله ، ومن حرم الرضا عن الله حرم النفع بما حصل .

والحياة الإبلسية تظهر في الهمم والإرادات ، فإذا ظهرت في إنسان فاجتنبه - وإن أثرت همته وإرادته في العالم - فإن الله تعالى قد يستدرج من يشاء بما يشاء ، وقد ينطق بالحكمة ذو الحياة الإبلسية ، لأنه يستمد من سافلين النأى ، قال تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته » (٢) فلا تغتر له .

متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائما وقاعدا ونائما لأن الجسم لا بد له من النوم ، والروح لا تنام إذا صحت

(١) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٢) سورة الطلاق آية ٧

حياتها الروحانية ، قال تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »^(١) .

من أحياء الله بالحى القيوم لا يموت وإن مات جسده ، ومن مات بالإرادة أحياء الله بالفضل حياة طيبة .

الجواذب :

الجواذب ثلاث : جذبة العرفان ، وجذبة المراقبة ، وجذبة العناية .

فجذبة العرفان مبدؤها صحبة العارف ، ووسطها استغراق كلية القلب فى محبته ، ونهايتها دخول السالك فى قلب العارف ، فينظر الله إليه فيه ، فتشرق عليه أنوار معانى الصفات فتحصل له المراقبة ، فإذا راقب معانى الصفات أشرقت عليه أنوار بدئه قبل نشأته الأولى ، فغاب عن وجوده بالوجود الحق ، ولديها يزول البين فتقع العين على العين ، وهى جذبة العيان ، فإن جمل بجمال حلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه ، وإن اقطعت أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق ومات ، فأحياء الله

(١) سورة آل عمران آية ١٩١ .

فكان مع الله والله معه ، واقفا على الأعراف يعرف كلا
بسيماهم ، وهو المجذوب المقتطع ، والمطلوب المنتفع .

والوارثون قليل ، لأنهم في مقام الاصطفاء ، والمقتطعون
كثير لأنهم في مقام الاجتباء ، وشتان بين من نفعه الله ونفع
به ، وبين من ضاق ما عونه عن الأنوار فعمت ظاهره فذلك
طوره ، وصعق ولم يفق .

وجواذب الأجسام النعم ، وجواذب العقول الآيات ،
وجواذب النفوس الحكمة والتجليات ، وجواذب الأرواح
مواجهة الوجه في نور مجلى الذات . فاجذب كل حقيقة فيك
بجواذبها ينفع الله بك .

الأنس :

الأنس بالله تعالى يقتضى عدم الوحشة ، والأنس بالله
لا يكون إلا عن علم ، والعالم بالله أخشى الناس لله ، فإذا أنس
أنس أنس أهل الأدب مع الله تعالى ، ومتى كان الأنس بالله
محصنا بالخشية من الله والأدب مع الله دام ذلك الأنس ، وإنما
يخشى على الأنس بربه من الوقوع في الجمعية الكبريائية الخاصة
فيفنى عن وجوده العبدى بالوجود الربانى فيحصل له الأنس ،

فيشطح أو يتيه في بيداء التيه ، أما الأنس بالله تعالى فإنه لا وحشة له ، قال تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (١) .

والآنس بالله له في الشدة أنس فوق أنسه في الرخاء ، لأنه آنس بالله الذي من صفاته المبلى ، لأنه آمن بالكتاب كله ، فهو سبجانه يلبسه عند الشدة أجمل حلة يحبها ، وهي حلة العبادة لذات الله تعالى تملقا وتذللا وتبتلا وابتهاالا واضطراراً ، فيقيه سبجانه وتعالى ، ويواجهه مواجهة لم يسبق له نظيرها ، لأن الله يقضى للآنسين به شهود جماله العلى ، ظاهرا بمعانى الأسماء والصفات للروح وللسر وللنفس والعقل والحس ، ولا يكون ذلك إلا عند الشدة ، وأما في غيرها فيكون الأنس خصا بالروح والعطايا للروح .

وقد أنس أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار حينما قال له : « لا تحزن إن الله مَعَنَا » (٢) فكان ما تعلمه من إغاثة الله تعالى وظهور عنايته وولايته بأبى بكر الذى حصلت له الوحشة رضى الله عنه ، ولم تكن وحشة أبى بكر خوفاً على نفسه ،

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٠ .

ولكنها على روحه الحقيقية ﷺ ، قال الله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »^(١) وإمامهم أبو بكر .

الروح تأنس على بساط المنادمة ، فتبهج النفس حيث لا لبس ، وينشرح الصدر ، فينطق اللسان بجلى البيان « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان »^(٢) .

لا يجلس على البساط إلا من عرف (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

إذا بسط العارف بساطه آذذك بالأنس ، والأنس إمامه ، أو عنده ، أو فيه ، أو به ، أو لديه ، ولكل معلم أدب ، وليس ذلك بالدراسة ، وإنما هي العناية من الله سبقت ، والولاية منه إليك وصلت ، وسوء الأدب عجزاً عن القيام به أدب ، إلا في مقام (معه) فإن الأدب أن تتحصن بحصون منهاجه بقدر ما تقوى قوتك ، فإذا غلب عليك الوجد ففوق بشرتك بما شئت - ما لم يكن محظوراً - وهو مقام تزكية النفس للأنس ، كان بعض الرجال يضرب نفسه بالخيزران لينبه بشريته ، وبعضهم

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

(٢) سورة الرحمن آية ١ - ٤ .

يسلك مسالك التهم ، ليتهم ، وبعضهم ، وبعضهم ، إلا من سلك مع المرشد الكامل فهو كظله ، أو ميت بين يديه .

أنس العارف :

العارف بالله في أنس بمولاه ، لا يحزنه شيء ، وإنما يحزن من قول أهل الجهالة الذي لا يليق بالأدب مع الله تعالى ، وقد يجمع الله له بين الأنس والفرح ، وبين الأنس والحزن ، فهو في أنس دائم في حالي الفرحة والحزن لأن أنسه بالإشراف على قدس العزة والجبروت ، وفرحه بتجلى أسماء الجمال ، وروحه تتجاوزت الملكوت وأشرفت على قدس العزة ، هذا إذا كان وارثاً .

وغير العارف أنسه بما يفرح به العارف ، وفرحه بما يلائمه ، هذا إذا كان سالكا على يد الوارث ، أما غيره ففرحه بنيل حظه ، وحزنه بفقدانه ، والله يختص برحمته من يشاء .

أنس العارف في فصله ووحشته في وصله ، وأنس غير العارف في وصله ووحشته في فصله .

الشوق :

هو حرارة نار القرب التنزلي : الذي به يرى نفسه المشتاق

وهو مع محبوبه ، أو عنده ، أو لديه ، والعلو العظموتى الذى يجعل المشتاق عدماً لا يلقى به أن يقرب من هذا الجناح ، فيكون بين قرب لا بين ولا رين ، وبين بعد يستحيل فيه الاتحاد ، فتحرقه حرارة نار فقد المجانس ، ويجذبه برد التنزل وإيناس التلطف ، ولولا ذلك هلك .

والمشتاق منزعج لا يقر له قرار ، فإذا قويت جواذب التنزلات شطح - إن لم يكن على يد المرشد - وإن استقرت نار الاحتراق صقع خشية الفراق - إن لم يكن على يد المرشد - فالمرشد برزخ ما بينهما ، لأنه رق الحقائق المنشور ، وبحر الأسرار المسجور ، وكتاب التنزلات المسطور ، وطود التجليات الراسخ .

الشوق مقام رفيع من مقامات المحبة ، وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيماً فى غير مشوقه ، إنما يشواق الإنسان إلى من عرف ، ومن جهل شيئاً عاداه ، وقد ورد فى الحديث القدسى : (من عرفنى عشقنى) وشتان بين مشتاق إلى الجنة ومشتاق إلى الحضرة ، فالمشتاق إلى الحضرة غاب عن الأكوان بمكون الأكوان ، والمشتاق إلى الجنة حجبه الزخارف عن الملك الديان .

يقول الله تعالى : (أى عبدى ، إنك بأعينى ، وإنى لأحبك ، وإنى لقريب منك ، وإنك لقريب منى ، وإنى ماسترت عنك إلا ليشتد شوقك إلىّ فيرضيني منك ذلك ، وما سترت عنك ماسترته إلا رحمة بك وتقوية لشوقك إلى جنابى العلى) .

ولو أن الله تعالى كاشف العبد المشتاق إليه بمقامه لديه لذاب مما يواجهه به من تنزل ذى الجلال والاکرام ، فسبحان من حجب ما أقام به عبده عنه عطفاً عليه ورحمة به . ولكننا نجهل ، وإلا فمن الذى منحك الشوق حتى اشتقت ؟ ومن الذى كاشفك بالجمال حتى عشقت ؟ ومن الذى تجلى لك حتى أخرجك من حيطه الآثار إلى فسيح الأنوار ؟ .

لا شوق إلا بعد الوجد ، ولا وجد إلا بعد الشوق ، ووجد عن علم يؤدى إلى شوق بعلم ، فإذا حصل الوجد بالعلم كان الوجد الحقيقى ، وبعده الشوق الحقيقى .

فى أفق الشروق ينعدم المشوق .

العشق يُنزعج ، والشوق يُنطق ، والمحبة تُصمت .

أَبُو حُ إِذَا عَلَا شَبُوقٌ بِوَجْدِي وَيُؤْدُو لِي الْهَيْأُ وَفِيهِ رُشْدِي
أَمُوتُ بِكُمْ وَأَحْيَا كُلَّ وَقْتٍ وَمُوتِي فِيكُمْ عَزَى وَمَجْدِي

ولما أن سكتكم في فؤادي جُذِبْتُ إلى الولي بغير جُهدٍ
فبحثٍ بسرِّكم رَعْمًا وإني بشدة حُبِّكم قد صَحَّ سعدي

وقال رضى الله عنه :

هو الشوقُ للمذكورِ يُخْفِي المظاهرَ
وَيُشْهِدُ مَذْكُوراً عَلِيّاً وَقَادِراً
وَيُظْهِرُ أَنْوَارَ الحَقَائِقِ جَهْرَةً
لديها يَلِدُ الجَمْعُ راحاً مُطَهَّراً
هُوَ الشوقُ أَفْنَانِي وَأَخْفَى مَعَالِي
فَصَرْتُ بِهِ غَيْباً وَكُونِي مَظْهَراً

إنَّ اللهَ ساعات يشوق فيها عبده إليه ، فينسبهم كل شيء .
الشوق إلى الغيب دليل على أن في المشتاق ساطعة أنوار منه
وكيف لا ؟ والزيت في المصباح مضيء ، والمصباح إلى العالم
الأعلى مشير ولو لم تقم الحجة العقلية ولا الدلائل النقلية ، لا
أقيم الحجة برسل الله الكرام ولكني أقيمها بأهل الكهف .
والذوق فوق العلم ، والكشف فوق الذوق ، والفناء عن الوجود
فوق الكشف .

شَوْقُكَ إلى الآيات ، لتلحظ أنوار معاني الصفات . وأشرق

فيك وبك معاني الصفات ، لتفر إلى غيب التجليات . وأراك من التجليات البيئات ، ما به تلاحظ سواطع أنوار غيب مجلى الذات بالفناء عنك وعن الكائنات ، لديها فوجودك به حق ، وإذا ثبت وجودك الحق كنت للحق وكان الحق لك ، فَوَجَّه وجهك إليه ، واجعل صلاتك ونسكك ومحياك ومماتك لله رب العالمين لا شريك له ، فالأمر والجذب منه ، والتسليم والانقياد منك به .

لا ينفك شوق المحبوب إليه حتى تنكشف جليلة الحقيقة ، ولا انكشاف لها ، لأن قدرته لم تتعلق بإيجاد من يجانسه فيدركه ، ولا صبر لمن ألقى عليهم محبة من عنده ولا محيل لهم عنه ، فهو العلى العظيم عن أن يدرك ، وهو القريب المحيب فلا يغيب عن طالبيه ، إنما يتجاوز المحبوب مقام الشوق إلى الإلهانية ومنها إلى المهيمنة^(١) ، فإذا قوى الاصطلام في مقام الاعتصام رد إلى الصورة شهوداً بعين البصيرة ، فاطمأن القلب بها ، لا تسلياً عن الهوية ، ولكن عجزاً عن تحمل الصبر على الإلهانية ، وخشوعاً تحت هذا السلطان العلى والمكانة الصمدانية .

(١) المهيمنة : هو مقام من مقامات الملائكة المهمة في شهود جمال الحق وهم من الملائكة التي لم تسجد لآدم لأن الله أمر بعض الملائكة بالسجود ولم يأمر البعض الآخر .

فَدُمَ فِي مَزِيدِ وَاصْطِلَامِ غَرَامِيَا
 فَتَارُ اصْطِلَامِي فِي الْحَبِيبِ مُدَامِيَا
 نَعَمْ يَطْمَأَنَّ الْقَلْبُ بِالصُّورَةِ الَّتِي
 تُرِيْنِي جَمَالَ الْغَيْبِ لَاحَ أَمَامِيَا
 وَلَكِنْ إِلَهَانِيَّتِي فِي اصْطِنَاعِهِ
 إِلَيْهِ تُجَاذِبُنِي وَتُخْفِي مَقَامِيَا
 فَلَا (وَأَبِيكَ) الْمُتَنَوِّةَ تُفَنِّئُنِي
 وَلَا الْفَصْلُ يُخْفِي الْوَجْدَ حُلَّ مَلَامِيَا
 مِنَ الْبَدءِ مِنْ قَبْلِ التَّجَلِّي صَبَّأَتِي
 وَكُنْتُ أَرَى لَمْ يَسْتُرْتَنِي حَمَامِيَا
 فَكَيْفَ وَسُورِي مِنْ حَضِيضٍ وَمِنْ صَوِي
 أَقْرُ لَغَيْرِ الْوَجْهِ فَاسْمَعْ كَلَامِيَا
 فَلَا وَجْهَ الْوَجْهِ فِي الْحَظْوَةِ الَّتِي
 تُلِيحُ (تَدْلِي) غَيْبَهَا فِي سَلَامِيَا
 وَتُسَكِّرُ (إِذْ يَغْشَى) بِرَاجِ طَهْهُورِهِ
 بَايَةَ (مَا أُوحَى) تَتَّأَوَّلُ مُدَامِيَا

الحبة :

القلب بيت الرب ، فطهره له بالحب .

إنما يحب ما فيك منه ، وإنما يقربك بما يورده عليك منه
 فاحذر أن ترى تقربك تقريبا ، وافن عنه بمشاهد التوحيد تكن
 من أهل التفريد ، ويحبك إذا أدبت الأمانة لأهلها ، وعرفت
 لنفسك قدرها ، ومتى أحبك فكن كيف شئت ، فإن من
 أحبهم عصمهم ، أو حفظهم ، « وما تشاعون إلا أن يشاء
 الله » (١) وما تقول في قوم الحق معالم بين أعينهم ، وعندهم ،
 ومعهم ، وهم معه وعنده لا يغفلون وإن غفل الناس « أولئك
 لهم الأمن وهم مهتدون » (٢) .

إنما يشهد ضياء المحب عين تحب .

كذب من ادعى محبة من لم يعرف ، فإنه قد يسيء الأدب
 لجهله بمكانة المحبوب ، وللمحبة دلائل يدعو إليها العلم
 بالمحبوب ، ومن أول دلائلها التسليم له ، والصبر معه ، والرضا
 عنه . وسعد والله من كاشفه الله بأنوار التوحيد في مقامات
 التنزيه والتفريد ، حتى فنى عن وجوده بنفسه ، فكان عدما في
 نظره به ، موجودا في نظره بربه ، هذا سيئاته حسنات ،

(١) سورة التكوين آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢ .

ومعاصيه طاعات ، وجهالته علم ، وبعده قرب ، وفصله وصل ، قال الله تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » (١) .

لا يغيب من شهد الحبيب ، فإنه إن حجب عن بصره لا يحجب عن بصيرته .

الحب يرى حبيبه قريبا بأنسه بعيدا بشوقه .

الحبة ترفع أهل أدنى المراتب إلى أهل أعلى المراتب .

أهل الحبة يخافون من البعد وهم في أقرب مراتب القرب ، وأهل الجفا يأمنون وهم في أبعد البعد .

إذا أردت أن يحبك فانظر إلى ما منه إليك ، ولا تنظر إلى ما منك إليه ، فإن نظرت إلى ما منه إليك كنت عبدا حقا ، وإن نظرت إلى ما منك إليه كنت مشركا .

من ذاق جرعة من صافي ظهور محبة الله ؛ أغناه الله عمن سواه .

ليس هناك محبوب كله خير إلا الله ومن والاه وما والاه .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

من ذاق حلاوة خالص محبة الله لم يلتفت إلى شيء سواه .
 لدَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَبْدَى فلا طيِّبَ لَهَا ولا رَاقِي
 إذا أَجْلَسَكَ على بساط المحبة فانس كل ما عداها .
 أحب خلقه إليه ؛ من اعترف بذنبه بين يديه .

من عرج على معارج المحبة ارتفع لأعلى مقام ، ومن عرج
 على معارج المجاهدة ارتفع لحضرة الإنعام . وشتان بين من هو
 مع الإنعام وبين من هو مع المنعم .

المحبة قسمان : محبة واصله منه إليك ، وهى اختصاصك بما
 هو من صفاتك . والمحبة الواجبة عليك وهى أن تجعل أمره
 مقدماً على حظك ، ومراده مقدماً على مرادك ، وطاعته مقدمة
 على هواك .

هُوَ الْحُبُّ نُورٌ يَكْشِفُ الْحُجُبَ عَنْ قَلْبِي
 فَأَهْتَزَّ حَالَ الذِّكْرِ شَوْقًا إِلَى رُبِّى
 أَهْيَمُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْوَجْهِ مَشْرِقُ
 فَأَشْهَدُ نُورَ الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ مَا حُجِبِ
 فَأَفْنَى عَنِ الْآثَارِ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا
 فَيَمْنَحْنِى رُبِّى الطَّهُّورَ مِنَ الشُّرْبِ

سَقَاءَا رَسُولُ اللَّهِ خَمْرَةَ حَبِّهِ
فَأَسْكَرْنَا طَه فَهَمْنَا إِلَى الرِّبِ
فَبَشَرَى لِأَهْلِ الْحَبِّ نَالُوا مُرَادَهُمْ
إِمَامُهُمُ الْمُخْتَارُ كَشَفَا بِلَا حُجُبٍ

ما يحجب به غير الحب ينمو به غرام الحب ، فإن ما لا يلامم
النفس يقبضها عن الأنس ، أما أهل المحبة فإن أنسهم بالله عند
ما لا يلامم نفوسهم ، قال تعالى : « الذين قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل » (١) وما ازدادوا إيماناً إلا لشوقهم إلى لقاء الله
وإعلاء كلمة الله ، وقد يجمع الله لهم الشوق إلى لقاءه ، وإعلاء
كلمته .

المحبة حجاب - وهى أرق المقامات - لأنها تشغل عن
المحبوب ، وهل يسع القلب محبوباً وحياً ؟!

نار المحبة لا تبقى فى القلب لغير المحبوب حبة .

ولا تلم على من قال : « الله محبة » فإن المحبة جعلت أهل
الجاهلية العمياء تخدمهم الملائكة المقربون ، ويحبهم رب العزة

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

والجلال ، ضحوا في سبيل المحبة بكل شيء : من دين كانوا عليه ، ومن وطن كانوا يجلونه ، ومن مال كانوا يحرصون عليه ، ومن عرض كانوا يتفانون في المحافظة عليه . ثم صغر كل ذلك لديهم في سبيل المحبة ، حتى بذلوا أنفسهم نفيس ، وهو النفس ، على ظئبة السيف ، ولولا المحبة لما أشرقت تلك الأنوار ، ولا تجملوا بتلك الأحوال والمحبة منه أولا ، وبه لهم ثانيا « يحبهم ويحبونه » (١) .

ما لي وللمحبة؟! أشير إلى مقاماتها. وهي فوق الأرواح قدرا ، لم يكشف سرها من الله لعبده ولا من العبد لله ولذلك أنكرها أهل العقول ، لأنهم حرموا الوصول ، وأهلها هم الذين صاغ الله نفوسهم من نور قدسه ، فأشرقت هياكلهم على القدس الأعلى .

فاطو أخى بساط أهل المحبة ، فإن مقاماتهم عزت عن أن يشار إليها ، وأحوالهم رفعت عن أن يعبر عنها . وما تقول يا أخى في رجل إذا سأل حبيبه لباه ، وإذا سكت افتتحه وناجاه ، وإذا شغله شأن من شؤون الدنيا والآخرة أسرع إليه

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

وأرضاه ، هؤلاء هم أهل المحبة ، ما ذكر أحد منهم شيئاً إلا سهله ، وما اشتغل الإنسان منهم إلا بحبه ، فأسرع أن تذكر له ما يهملك في دنياك وآخرتك لا لتيسيره ، بل لتفرغ قلبك له ، وبعد ذلك سل تعط ، وارج تنل .

محبة الله للعبد إثارة من الله تعالى لعباده المخلصين ، به يرفعهم إلى مقام المقربين ، ومعية رب العالمين ، وعندية الملك المقدر في مقعد صدق ، ومحبة العبد لله تعالى إثارة العبد ربه على كل شيء ، حتى يتأله له دون كل شيء ، ويشغل بذكره عمن سواه ، ويحترق حبا فيه ، حتى يكشف له الحجب فيراه .

الحب إن كان بالعلم جذب إلى المحبوب ، وإن كان بالشهود أصمت المحب ، لأنه قد يعجز عن تصوير محبوبه بعبارة أو إشارة ، ويحله عن أن تبين محبته غيره للمحبوب ، فإذا تجاوز الكشف صار المحب محبوباً ، فأشار إلى المحبة بقدر نفسه .

القيمة بقدر المقصد - هذا إذا قوم المقصد - ومن طلب المقصد الذي لا يقوم ابتداءً ببذل روحه مستقلاً لها - لا لينال المقصد - بل سروراً بعلمه أن هناك مقصداً لا يقوم . وهذا يكون لأهل المحبة خاصة ، لأن الحب لا يكون إلا بعد المعرفة ، ومتى عرف المحبوب عشق ، وبقدره يكون البذل ، فإن كان لا

يعلم قدره غيره كسرت الموازين ، وحصل الدهش للعقول ،
والحيرة للنفوس ، وانكسر القلب قصورا ، وخشع الجسم
تقصيرا ، وإنما تكون المبادلة في النظائر والنظراء ، لا فيما لا
نظير له ، فكيف إذا تحقق من قصده الله أن النفس والجسم
والعقل والحس صنعته التي أبدعها ، وأنه هو القاهر فوقها ،
لديها تقوى الرهبة ، وتحقق من الفرق الغيبة ، وتجذبه حقيقة
الذل إليها من أن يشاكل ، أو يجانس ، أو يؤانس ، وهو نهاية
الشوق ومبدؤه فوق الطوق ، « والله غالب على أمره ولكن
أكثر الناس لا يعلمون » (١) .

(١) سورة يوسف آية ٢١ .

لجنته الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسطور

نسبه . سليل آل البيت الطاهرين ، حسبي من جهة والدته ، حسبي من جهة والده .
مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢ م بمسجد سيدى
رعلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ، ثم تدرج في سلك الوظائف حتى صار أستاذاً للشرعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم .

إفائه من وظائفه : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الديني الإرشاد والنصيحة للحاكمين ،
بل لعامة الناس ، والتحذير من الوقوع في حائل الإستعمار فأقضاه الحاكم العام الإنكليزي من
وظائفه في يوم الأحد ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥/٨/١ م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في يوم الأحد ٢٦ رجب
١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٢ م إلغاء الخلافة الإسلامية دعا الإمام لتأسيس جماعات
للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامي ، وانتخب رئيساً لجمعية الخلافة الإسلامية
بمصر في يوم الخميس ١٣ شعبان ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٢٠ م ، وبات عن شعب
مصر في حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي انعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ
١٩٢٦ م في أشهر الحج .

دعوته : أسس جماعة آل العرائم سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٨٩٣ م والطريقة العرمية سنة
١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٤ م ومقرها ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تدرج المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته في التفسير ، والفقه ، وعلم
الكلام ، والتصوف ، والفتاوى ، والسيرة ، والموايد .

انتقاله : انتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق
١٩٣٧/١٠/٣ م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليلته الأول : ابنه الأكبر الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبو العرائم ، شكل عمرا حديدا
لدعوة الإمام وبشر تراثه العلمي ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول سنة
١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦ م ، ودفن يوم الخميس ٢٢ ربيع أول ١٣٩٠ هـ الموافق
١٩٧٠/٥/٢٨ م بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليلته القائم : السيد عر الدين ماضي أبو العرائم الخامس بالقض ، حفيد الإمام ، والابن
الأكبر للخليفة الأول ، وهو شيخ الطريقة العرمية ، وإمام جماعة آل العرائم .

الفهرس

ص

٣

فاتحة الكتاب

٦

مقدمة الطبعة الأولى

الباب الأول

١٠

المجددون والطريق إلى الله

١٠

الفصل الأول : في المجددين وما أخذهم

١٠

ما سر إظهار الله المجددين في كل زمان ؟

١٤

ما هي مأخذ المجددين للسنة ؟

١٨

الفصل الثاني : أساس طريق آل العزائم ومجاهداتهم

١٨

ما هو أساس طريق آل العزائم ؟

٢١

ما هي مجاهدات آل العزائم ؟

٢٢

مجاهدة النفس

٢٣

أنواع المجاهدة

٢٧

الفصل الثالث : الطريق والحاجة إليه

٢٧	ما احتياج المسلم إلى الطريق
٣٢	ما يناله السالك بانتسابه للطريق
٣٥	من هو المرشد ؟
٤٣	أهم صفات السالك إلى الله تعالى
٤٣	أخص علاماته
٤٤	السالك المصاحب للمرشد
٤٥	الأبدال والصديقون

الباب الثاني

٤٧	من المكنون
٤٧	الفصل الأول : الله ورسوله وآدم
٤٧	الله جل جلاله
٤٨	محمد رسول الله
٦٥	رمز آدم
٧٢	آدم وحواء وإبليس
٧٧	مضنون في آدم
٧٨	الملك الكبير
٨٠	ألق أذن روحك

٨٢	جنة آدم
٨٥	الفصل الثاني : من المضمون في علوم اليقين
٨٥	القرآن
٨٧	قيس من المضمون في القرآن
٨٨	الأمانة
٩٠	العلم
٩٢	العالم
٩٣	الإيمان
٩٦	التوحيد
٩٩	النفس
١٠١	عقل وحس ونفس
١٠٢	تزكية النفوس
١٠٧	الحياة
١٠٩	الجواذب
١١٠	الأنس
١١٣	أنس العارف
١١٣	الشوق
١١٨	المحبة

تم بحمد الله وحسن توفيقه

رقم الإيداع ١٩٩٢/٢٣٤٢

الطاهر المجلد

عَلَى قُلُوبِ الْأَجْرَاءِ

حكم عالية ، ودرر غالية ، أفيضت من الكتاب المسطور ،
والبحر المسجور ، ونطق بها لسان الرق المنشور ، أخذنا عن
البيت المعمور ، فبحاءت ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد . وكانت بحر العرفان وفوز البيان ، يعترف
منه من سبقت له العناية . ولوحظ بمقام الولاية ، ومنح الصفا
بعد تحققه بالوفا ، يستمد منه واصل تحلى ، ثم تحلى ، وله حبيبه
تحلى ، فانيا عن شهوده في وجوده ، ويشهد ما في هذا البحر
من لآلى .

لقد سعد من فهم هذه الحكم علما ، أو تمتع بها ذوقا ، أو
كشف عنه الحجاب . فسمع كلام الأحياء ، من فارو
بالوصال ، وشاهدوا الجميل بعد التلذذ بالجمال .

37

دار الكتاب العرب

١١٤ ش مجلس الشعب القا

توزيع

٤٠٠